البِنْيَةُ العَمِيقَةُ ومَكَانَتُهَا لَدَى النُّحَاةِ العَرَبِ

د . عبد الله أحمد جاد الكريم

مقدمـــة

الحمـد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعـوث رحمـةً للعالمين ؛ أشرف الأنبياء والمرسلين ؛ سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمـدٍ النبـيِّ الأمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهـرين وعلى أتباعه ومَنْ سـار على نهجه إلى يوم الدين ؛ صلاة يا ربنا تفتـح لنـا بهـا أبـواب الخيـر والتيسير ، وتغلق عنا بها أبواب الشَّرِّ والتعسير ، وتكون لنا بها وليًّا ونصيرًا ،.. ثم أمَّا بعـد .

فيقول الله تعالى في محكم التنزيل :﴿ **وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَـن يَكْتُمْهَـا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة٢٨٣] ، ويقول دانتـي : إن أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوزٌ للذين يقفون على الحياد فـي أوقـات الأزمات . فمنذ أن ظهرت النظرية التوليدية التحويليـة علـى يـد نعـوم تشومسكي في عام ١٩٥٧م عندما أصدر كتابه الأول (**التراكيـب النحويـة**) وفي عام ١٩٥٦م عندما أصدر كتابه التاريخي (**أوجه النظرية التحويليـة**) إلى يومنا هذا ؛ وعلماء اللغة في الغرب والشرق يدرسونها ويمحِّـصونها ، إمَّا مدافعين أو ناقدين ، وكثيرهم في معظم الأحيان غافلين أو متغافلين عمَّـا صنعه وسطَّره أجدادنا النحاة العرب . ورأينا الكثير مـن أسـاتذتنا علمـاء العربية بنظرية تشومسكي مشغوفين وعمَّا سطَّره أجدادنا الأفذاذ معرضـين غير مبالين ، وأخذوا يترجمون ويدرسون ويدافعون ويسطرون الكثير مـن

الدراسات حول تشومسكي ونظريته ، وليتهم فعلوا نصف ذلك مع أجدادهم أو أقل ؛ ولو فعلوا لتأكدوا من أنهم أحفاد أجداد عظماء ، وأيقنوا أن أكثر ما قاله تشومسكي بضاعتهم قد ردّت إليهم ، وميراث أجدادهم يُتفضّل بـه علـيهم ، ولكن كل ما قلته وقاله غيري حول هذه الظاهرة لا يمنع وجود الكثير من رجالات العربية وفرسانها الذين يدرسون ويمحّصون تراث أجدادهم ويدافعون عن إنجازاتهم ، ولم يمنعهم ذلك من استكمال ما فاتهم بما فاقهم في منجزات غيرهم ، فالأيام دول ، ولم يكن العلم يومًا ما حكرًا على أحد .

ودراسة قضية البنية العميقة ارتبطت بزخم كبير ؛ فدراستها والبحث فيها بحاجة إلى إعمال العقل والتفكير ، ومَنْ يطّلع على الدراسات اللغوية الحديثة يجد أن كثيرًا من علماء الغرب والشرق يوقفون معرفتها ودراستها **على تشومسكي وأعوانه** ، غير آبهين بما ذكره عالم عربي أو قاله في غابر زمانه ؛ **كسيبويه والزمخشري وابن جني وعبد القاهر** وغيرهم الكثير ، وأرجو أن لا يُفهم أنّني أقلل من قدر **تشومسكي** ؛ انحيازًا للنحاة العرب وجهوده كبعض الشعوبيين ، فهو عالم فاضل جليلٌ وأمثاله في علماء الغرب قليل ، معترفٌ بالجميل ؛ جميل علماء العربية وفضلهم عليه ، فهو الذي أكد مرارًا استفادته من كتاب سيبويه ، وكان في مواقفه مُدافعًا عن العرب وقضاياهم ، رافضًا وفاضحًا لسياسات أعدائهم . ولكن بعد ظهور أفكاره ؛ وبخاصة ما يتعلق **بالبنية العميقة** تجد كثيرًا من العلماء العرب يمتدحون ويهللون له ؛ دون أخذ في الاعتبار ما أنجزه النحاة العرب في هذا المضمار ، وكما قال الشاعر :

والغبن في العلم أشجى محنة عُلمت وأبرح الناس شجوًا عالمًا هُضما

ويقول مصطفى صادق الرافعي :

أتترك الغرب يلهينا بزخرفة ومشرق الشمس يبكينا وينتحب ؟

وعنـــدنا نهـــرٌ عـــذبٌ لشاربه فكيف نتركه في البحـــر ينسرب ؟

ويقول الدكتور عبد العزيز حمودة :" إن العقل العربي مـــارس كـــل ألوان الاجتهاد وأنواعه ، وبعض هذه الاجتهادات كانـــت حريـــة بـــالتطوير والإثراء ؛ وليس التجاهل الاحتقار"[1] .

ويقول أحد الباحثين ــ تمثـــيلاً لا حـــصرًا ــ :" يفتـــرض **النحـــو التوليدي التحويلي** ثنائية البنية اللغوية (di-strata) ؛ بمعني أن هناك بنية ذهنية عميقة (deep structure) تشمل العناصر الكاملة للمقولة اللغوية تتحول إلى بنية سطحية منطوقة (surface structure) ؛ لذا فالنموذج يتكون من مكونين أساسين هما : **المكون التركيبي** الذي تنتظم داخله عناصر البنية العميقة ، و**المكـــون التحويلي** الذي يحدد البدائل الممكنة لبنيتها السطحية ، ...الخ " [2]

والسؤال الآن : هل النحاة العرب لم يعرفوا البنية العميقة ؟؟ وهـــل كل ما ذكره تشومسكي عنها مخترع أم مكتشف ، فتكـــون لـــه الجـــدة فـــي الصياغة ولغة الحديث واللغة التي طبَّق عليها أفكاره ؟؟ و أين دور النحـــاة العرب في هذا المضمار اللغوي المهم ؟؟

وللإجابة على هذه الأسئلة ستكون محاور هذه الدراسة على النحـــو التالـــي :

أولاً : التعريف بالبنية العميقـــة والبنية السطحيـــة .

ثانيًا : مظاهر اهتمام النحاة بالبنية العميقة في تراثهم .

ثالثًا : شواهد تؤكد عناية النحاة بالبنية العميقة في المفردات والتراكيب .

رابعًا : وسائل التحويل من البنية العميقة إلى السطحية لدى النحاة العرب .

([1]) ينظر : المرايا المقعرة ؛ لعبد العزيز حمودة ، ط عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠١م ، (ص٢٤٧) .

([2]) ينظر : الفجوة الرقمية ؛ لنبيل علي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٣١٨) ، ٢٠٠٥م،(ص٣٢٦-٣٢٥).

خامسًا : أسباب اهتمام النحاة العرب بدراسة البنية العميقة ونتائج ذلك .

وتفصيل المحاور السابقة على النحو الآتي :

أولاً : التَّعريفُ بالبِنْيَةِ العَمِيْقَةِ والبِنْيةِ السَّطْحيَّة

البِنْيَةُ : يذكر علماء اللغة العربية من أصحاب المعاجم أن بنية الشيء :"الهيئة التي بني عليها ". [1] "و البنية ما بنيته ؛ وهو البنى والبنى ، وأنشد الفارسي عن أبي الحسن : أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى". [2] و«البنية» شبكة العلاقات القائمة في الواقع التي قد يعقلها الإنسان ويجردها بعد ملاحظته للواقع في كل علاقاته المتشابكة، ويرى أنها تربط بين عناصر الكل الواقعي أو تجمع أجزاءه ، وأنها القانون الذي يضبط هذه العلاقات ، ولكنه قد لا يدركها على الإطلاق . ومن ثم فالبنية، كما تتبدّى في عقل الإنسان ، ليست ذاتية ولا موضوعية تماماً.

هذا لا يعني أن البنية مجرد "إدراك" لشبكة العلاقات ونموذج عقلي يجرده الإنسان ، وإنما هي كل من "الإدراك" (الذاتي) و"الشبكة" (الموضوعية) ؛ أي أن البنية ، إلى جانب وجودها الذاتي في العقل ، لها وجود موضوعي في الواقع ، قد يدرك الإنسان معظم أو بعض جوانبه، وقد لا يدرك أياً منها . والبنية في الدرس اللغوي لها نوعان : البنية السطحية ، والبنية العميقة ؛ **البنية السطحية** (surface structure) :البنية السطحية هي كل هيكل الشيء ووحدته المادية الظاهرة. **أمَّا البنية العميقة** (deep structure) : فهي كامنة في صميم الشيء ، وهي التي تمنح الظاهرة هويتها وتضفي عليها خصوصيتها. وعادة ما يعي المرء إدراك البنية السطحية المادية المباشرة ،

---

(1) ينظر : لسان العرب ؛ لابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت ، (٩٤/١٤) ، والمصباح المنير ؛ للفيومي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت ، (٦٣/١) ، مادة (بني) .

(2) ينظر : لسان العرب (٩٤/١٤) .

فإدراكها أمر متيسر، أما إدراك البنية الكامنة فهو أمر أكثر صعوبة، يتطلب استخدام الحواس وإعمال العقل والخيال والحدس. لذا عادة ما يعيش البشر داخل بُني اجتماعية وتاريخية واقتصادية يستنبطونها فتؤثر في سلوكهم وتشكيل رؤيتهم للكون وتحدد خطابهم الحضاري دون وعي منهم .

وقد يمكننا التعبير عن البنية السطحية والعميقة بقولنا: (الظاهر والباطن) ــ كما يرى كثير من النحاة ــ "وهذا الظاهر مماس لذلك الباطن كل جزء منه منطو عليه ومحيط به"[1] ؛ " لأن حسن الظاهر يدل على حسن الباطن" [2].

ويمكن تشبيه العلاقة بين التركيب الباطني (البنية العميقة) والتركيب الظاهري (البنية السطحية) بالعلاقة " بين مدخول التفاعل الكيماوي ومنتوجه ، فالتركيب الباطني في اللغة يشبه مدخول التفاعل الكيماوي ؛ أي : أنه يشبه المواد الداخلة في التفاعل الكيماوي ، والتركيب الظاهري في اللغة يشبه منتوج التفاعل الكيماوي ؛ أي : أنه يشبه المواد الناتجة من التفاعل الكيماوي " [3] .

وهذا الترابط غير المنكر بين البنية السطحية والبنية العميقة لا يمنع وجود فروق أو سمات تنماز بها البنية السطحية عن العميقة أو العكس ، فإن كانتا متطابقتين فلا داعي للفصل بينهما باسمين أو مصطلحين متغايرين .

---

(1) الخصائص ؛ لابن جني ، تح : محمد علي النجار ، ط عالم الكتب ، بيروت (٢/٤٧٦) .

(2) ينظر : المصباح المنير (٢/٦٤٩) .

(3) ينظر : دراسات لغوية ، لمحمد علي الخولي ، ط : دار العلوم ، الرياض ، ١٩٨٢م ، (ص٥٢) ، والدرس النحوي في القرن العشرين ، لعبد الله أحمد جاد الكريم ، ط : مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص٢٤١ .

* **السِّمات المميزة للبنية السطحيّـة** : تتمـاز البنية السطحية بكثيـر مـن السمات ؛ من أهمها ما يلـي :

١ـ هي البنية المنطوقة والمسموعة أو المكتوبة فعلاً لا تصورًا أو تخيلاً .

٢ـ الاختصار ؛ لأن المتكلم يعمد إلى ما يريد بأقـل العبـارات أو الجمـل المتعارف عليها ، لذلك فهو يغفل في منتجه اللغوي النهائي (السطحية) كل ما يراه أو يتصور أنه غير مفيد .

٣ـ السهولة والوضوح في المعنى والبعد عن التعقيدات اللفظية ما أمكـن ، فالاهتمام باللفظ يحتل مكانة عظيمة عند المتعاملين مع البنية السطحية .

٤ـ الإعراب؛لأن هذه البنية يجب أن تطبق القواعد اللغوية والنحوية ،فمـا صيِّغ على كلام العرب هو من كلام العرب.

* **السِّمات المميزة للبنية العميقـة** : تتمـاز البنية العميقـة بكثيـر مـن السمات ، من أهمها ما يلـي :

١ـ صعوبة تحديدها ؛ لأنها تعتمد على إعمال الفكر والحدس والتخمـين . وذلك لأن التوهم " حالة نفسية يتصور الإنسان معها تصورات قـد تكـون صحيحة وقد تكون فاسدة"[١].

٢ـ ليس لها شكل معين أو صياغة واحدة ؛ فهي تختلف باختلاف المتصور لها .

٣ـ تعتمد على المعنى أكثر من اعتمادها على اللفظ ؛ فهو محورها ومنـاط اهتمام الباحثين عن البنية العميقة .

٤ـ أقـدم من السطحية نشأةً في تصور أكثر العلماء ؛ لذا فهي مـصدر أو مرجع البنية السطحية.

---

(١) ينظر :" ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية" ؛ للدكتور : سيد رزق الطويل ، بحـث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، العدد الأول ، سنة ١٩٨٣م ، (ص٨٩ ، ٩٥) .

ثانيًا : مَظَاهِـرُ اهْتِمَـامِ النُّحَـاةِ العَـرَبِ بِالبِنْيَـةِ العَمِيْقَـةِ

لقد اهتمَّ العرب بكافَّة طوائفهم بما يُسَمَّى **الظاهر والباطن** للكـلام ؛ وبخاصة في القرآن الكريم ، فنتج عن ذلك فريق يرفض الباطن تمامًـا ولا يعترف إلا بالظاهر (الظاهرية) ، وفريق أوغل في تأويل الباطن والاعتمـاد عليه (الباطنية) ، وفريق ثالث كان موقفه وسطًا يتعامل مـع الظـاهر وإن احتاج إلى تأويله والاستعانة بالباطن لم يتوانَ في ذلك ؛ (ولا داعي للإطالـة هنا) . ولقد اهتمَّ النحاة العرب في مختلف مدارسهم ومذاهبهم النحوية بالبنية العميقة ، ومن الواضح أن دراستهم للبنية السطحية وانشغالهم بإعرابهـا لـم يغض طرفهم وعقلهم عن البنية العميقة لما يدرسونه أو يعربونه ، ومظاهر اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة كثير ة كثرة مفرطة في كتبهم وأبحـاثهم اللغوية ، ومن ذلك قولهم في كثير من كتبهم : (**والتقدير ، وتقدير الكلام ، وأصل الكلام ، والمعنى ، ..الخ**) ؛ وذلك إيذانًا بالبنية العميقة وذلك أثنـاء دراستهم للبنية السطحية ، وذلك لمعـرفتهم " أن الاكتفـاء بوصـف البنيـة السطحية لا يعني إنكار البنية العميقة ، بوصفها خاصة لغوية إنسانية . هـذه الخاصة الإنسانية منحة من الله جل وعلا ، وهي صالحة للعمـل بالتفعيـل والتوليد منها حسب البيئة اللغوية المعينة . والبيئات اللغوية كثيرة لا حـصر لها ، ومن ثمَّ لا نعجب ولا ندهش إذا جاء هذا التوليد مختلفًا من بيئـة إلـى أخرى ، بل من فرد إلى فرد آخر"[1].

وعودة إلى خصائص اللغة العربية "فإن كثيراً من الكلمـات تحمـل مستويين أحدهما غير منطوق به والآخر منطوق به ، ولكن غير المنطوق به يتحكم في المنطوق ويوجه تفسيره ؛ لأنه مراد حكماً وتقديراً[2]. وأسوق هنا بعض أقوال النحاة لتأكيد مـا قلناه .

---

(1) الدكتور: كمال بشر في كلمة استقبال الدكتور : عبده الراجحي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

(2) ينظر : ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني دكتوراه ؛ لطه الجندي ، دار العلوم ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، (ص ٧٦).

أولاً : سيبويه (ت١٨٠هـ) : يقول :"وأحسنه إذا اجتمع نكرةٌ ومعرفةٌ أنَ يبتدئ بالأعرَاف ؛ وهو **أصل الكلام** "[١] ، ولا داعي لكثرة النقل عن سيبويه ؛ فهو أشهر من أن ندلل على فضله .

ثانيًا : ابن السرَّاج (٣١٦هـ) : يقول :"وأما ربطه جملة بجملة ؛ فنحو قولك : إنْ يقم زيد يقعد عمرو ، وكان **أصل الكلام** : يقوم زيد يقعد عمرو ، فيقوم زيد ليس متصلاً بيقعد عمرو ، ولا منه في شيء ، فلمّا دخلت (إنْ) جعلت إحدى الجملتين شرطًا والأخرى جوابًا ".[٢] ويقول :"واعلم أن العرب قد أقامت أسماء ليست بأزمنة مقام الأزمنة اتساعًا واختصارًا ، وهذه الأسماء تجيء على ضربين:**أحدهما**:أن يكون **أصل الكلام** إضافة أسماء الزمان إلى مصدر مضاف،فحذف اسم الزمان اتساعًا نحو : جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان وصلاة العصر ، فالمراد في جميع هذا : جئتك وقت مقدم الحاج ووقت خفوق النجم ووقت خلافة فلان ووقت صلاة العصر" . [٣]

ويقول :"ومن شأن العرب إذا أزالوا **الكلام عن أصله** إلى شيء آخر غيَّروا لفظه ؛ وحذفوا منه شيئًا ؛ وألزموه موضعًا واحدًا إذا لم يأتوا بحرف يدل على ذلك المعنى ولم يصرفوه ، وجعلوه كالمثل ؛ ليكون ذلك دليلاً لهم على أنّهم خالفوا به **أصل الكلام**".[٤] ويقول :"فمن ذلك : ليس زيد بقائم ؛ **أصل الكلام** :ليس زيد قائما ودخلت الباء لتؤكد النفي وخص النفي بها دون الإيجاب".[٥]

---

(١) كتاب سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، ط دار الجيل ، بيروت ، (٣٢٨/١) .

(٢) الأصول في النحو لابن السراج ، تح:عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٨م (١٩٣/١).

(٣) الأصول ؛ لابن السراج (١٩٣/١) .

(٤) السابق (١٨١/٢) .

(٥) السابق (٢٥٩/٢) .

ثالثًا : النحاس (ت٣٨٥هـ) : يقول :"والأولى أن يكون المفعول محذوفا دلَّ عليه سائر **الكلام** ؛ **والتقدير** : يخرج لنا ممَّا تنبت الأرض مأكولاً "[١]. ويقول :"والجواب (فجزاؤه جهنم) ؛ **والتقدير في العربية** : يجزه الله جهنم ، والدليل على هذا أن بعده (وغضب الله عليه) ؛ أي : عاقبه ، (ولعنه) ؛ أي : باعده من رحمته "[٢]. ويقول:"الجواب أن العرب تحذف مع أبى ؛ **والتقدير** ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره[٣] ، ويقول :"فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله ؛ في الكلام حذف ؛ **والتقدير**:فقد لبثت فيكم عمرًا من قبله تعرفوني بالصدق والأمانة لا أقرأ ولا أكتب ثم جئتكم بالمعجزات ؛ أفلا تعقلون أن هذا لا يكون إلا من عند الله جل وعز؟؟"[٤] . ومن الملاحظ طول تقدير البنية العميقة ، ومن ذلك قوله :"**والتقدير** في العربية : ثم ليقضوا أجل تفثهم ، مثل : وسئل القرية [٥]" وهنا نلاحظ قصر البنية العميقة . **ويقول أيضًا** :" **والمعنى والتقدير** في العربية واحد ؛ لأن أصل (تزكى) (تتزكى) فحذفت التاء"[٦]،ويقول :"**الأصل عند البصريين**:صيوب ثم أدغم مثل :ميت ، وعند الكوفيين الأصل:صويب ثم أدغم[٧]"، ويقول أيضًا عن (اللَّهمَّ) :"**الأصل عند سيبويه**:يا الله،والميمان بدل من يا"[٨]. ويقول أيضًا:"وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم (ليُجزي قومًا) وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة

---

(١) إعراب القرآن ؛ للنحاس ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨م ، (٢٣١/١) .

(٢) السابق (٤٨١/١) .

(٣) السابق (٢١١/٢) .

(٤) السابق (٢٤٩/٢) .

(٥) السابق (ج٩٦/٣) .

(٦) إعراب القرآن ؛ للنحاس (١٤٤/٥) .

(٧) السابق (١٩٤/١) .

(٨) إعراب القرآن ؛ للنحاس (٥٠/٢) .

والكسائي (لنجزي قومًا) بالنون وقرأ أبو جعفر القارىء (ليجزى قومًا) قال أبو جعفر: القراءة الأولى والثانية حسنتان ؛ معناهما واحد ؛ وإن كان أبو عبيد يختار الأولى ، ويحتج بأن قبله (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) فيختار (ليجزي قومًا) ليعود الضمير على اسم الله جل وعز ؛ وهذا لا يوجب اختيارًا ؛ لأنه كلام الله جل وعز ووحيه ، فقوله جل ثناؤه (لنجزي) إخبارًا عنه جلّ وعزّ . فأمّا (ليجزي قومًا) فقال أبو إسحاق : هو لحن عند الخليل وسيبويه وجميع البصريين ، وقال الفراء : هو لحن في الظاهر ، وهو عند البصريين : لحن في الظاهر والباطن ، وإنما أجازه الكسائي على شذوذ ؛ بمعنى : ليجزى الجزاء قومًا ؛ فأضمر الجزاء ، ولو أظهره ما جاز ، فكيف وقد أضمره ؟ وقد أجمع النحويون على أنه لا يجوز ضرب الضرب زيدًا "[1] وممّا سبق نلحظ أن البنية العميقة قد يختلف تقديرها بين مدرسة وأخرى ؛ بل بين عالم وآخر !!

رابعًا : ابن جني (ت٣٩٢هـ) : ابن جني رحمه الله تعالى من أكثر النحاة واللغويين العرب الذين أولوا البنية العميقة اهتمامهم وعنايتهم الفائقة ، وعن ذلك يقول **ابن جني**:"لا يُنكرُ أنْ يكونَ في كلامِهِمْ ــ العرب ــ أصولٌ غيرُ مَلْفُوظٍ بِهَا ، إلا أنَّهَا مع ذلك مُقَدَّرَةٌ وهذا واسعٌ في كلامهم[2]"، ويقول :" المعنى وإذا أمكن أن تتأول اللفظة على ظاهرها لم يسغ العدول عنه إلى الباطن إلا بدليل والدليل هنا إنما يؤكد الظاهر لا الباطن فينبغي أن يكون العمل عليه دون غيره[3]

([1]) إعراب القرآن ؛ للنحاس (١٤٣/٤ ــ١٤٤) .

([2]) المنصف ؛ لابن جني ، تح : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط الحلبي ، القاهرة ١٣٧٩هـ (٣٤٨/١) .

([3]) سر صناعة الإعراب ؛ لابن جني ، تح :حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ١٩٨٥م ، (٤٢٥/١) .

ويقول أيضًا :" فلسنا ننزل عن الظاهر ونخالف الشائع المطرد إلى ضرورة واستقباح إلا بأمر يدعو إلى ذلك لا ضرورة هنا فنحن على ما يجب من لزوم الظاهر ومخالفنا معتقد لما لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده([1]) ، ويؤكد ابن جني علي أن الاستغناء عن بعض مفردات البنى العميقة من صنع العرب وعن قصد منهم "لأنه لا يُستنكر الاعتداد بما لم يخرج إلي اللفظ ؛ لأن الدليل إذا قام علي شيء في حكم الملفوظ به ، وإن لم يَجْرِ علي ألسنتهم استعماله ([2]) ، ويتحدث عن **اهتمام العرب بالبنية السطحية** ؛ ومن ذلك لديه :"باب في الحمل على الظاهر وإن أمكن أن يكون المراد غيره قيل ، هذا يدلك على قوة الظاهر عندهم"([3]) ، ومنه قوله " باب في تدافع الظاهر؛ هذا نحو من اللغة له انقسام ، فمن ذلك استحسانهم لتركيب ما تباعدت مخارجه من الحروف نحو: الهمزة مع النون والحاء مع الباء ، نحو : آن ونأى وحب وبح ، واستقباحهم لتركيب ما تقارب من الحروف ؛ وذلك نحو: صس وسص"([4]) .

وتحدث ابن جني عن **أسباب التحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية** حيث يقول :"فالمعنى إذا أشيع وأسير حكما من اللفظ ؛ لأنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ، ولست في المعنوي بمحتاج إلى تصور حكم اللفظي فاعرف ذلك . ..واعلم أن العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل ما إذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها

([1]) السابق (٢٨٧/١) .

([2]) الخصائص (٣٤٣/٢) .

([3]) السابق (٢٥١/١) .

([4]) الخصائص (٢٢٧/٢) .

على اقوى بال " [1] ، والتحول من البنية العميقة إلى السطحية لا يعني بالضرورة جودة السطحية وتدني العميقة ، "ويدلك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده "[2] . ويؤكد ابن جني على أن **العربي مدركٌ لعملية التحول من البنية العميقة إلى البنية السطحية وكذلك النحاة العرب** ؛ حيث يقول :"باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها ، يقول :"اعلم أن هذا موضع في تثبيته وتمكينه منفعة ظاهرة ، وللنفس به مسكة وعصمة ؛ لأن فيه تصحيح ما ندعيه على العرب من أنها أرادت كذا لكذا ، وفعلت كذا لكذا ، وهو أحزم لها وأجمل بها ، وأدل على الحكمة المنسوبة إليها ، من أن تكون تكلفت ما تكلفته من استمرارها على وتيرة واحدة وتقريبها منهجا واحدا ، تراعيه وتلاحظه ، وتتحمل لذلك مشاقه وكلفه ، وتعتذر من تقصير إن جرى وقتا منها في شيء منه" [3].

وتحدث ابن جني ــ قبل تشومسكي ــ عن **تقدير مختلف البشر للغاتهم واهتمامهم بها** " والمروى عنهم في شغفهم بلغتهم وتعظيمهم لها ، واعتقادهم أجمل الجميل فيها أكثر من أن يورد أو جزء من أجزاء كثيرة منه . فإن قلت : فإن العجم أيضا بلغتهم مشغوفون ، ولها مؤثرون ، ولأن يدخلها شيء من العربي كارهون ، ألا ترى أنهم إذا أورد الشاعر منهم شعرا فيه ألفاظ من العربي عيب به وطعن لأجل ذلك عليه ، فقد تساوت حال اللغتين في ذلك ، فأية فضيلة للعربية على العجمية ؟؟ قيل : لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها من الغموض والرقة

([1]) السابق (١/١١١) .

([2]) السابق (١/١٢٥) .

([3]) السابق (١/٢٣٧) .

والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها ؛ فضلا عن التقديم لها والتنويه منها .فإن قيل:لا .بل لو عرفت العرب مذاهب العجم في حسن لغتها وسداد تصرفها وعذوبة طرائقها لم تبء بلغتها ، ولا رفعت من رءوسها باستحسانها وتقديمها ".([1]) **ويتحدث عن موقف العرب من لغات غيرهم** :" واعلم أن العرب تختلف أحوالها في تلقي الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع قبول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ، ومنهم من إذا طال تكرر لغة غيره عليه لصقت به ووجدت في كلامه ".([2]) **ويقول عن العجم واشتراك اللغات البشرية في بعض الأمور**:" وأيضا فإن العجم العلماء بلغة العرب وإن لم يكونوا علماء بلغة العجم ، فإن قواهم في العربية تؤيد معرفتهم بالعجمية ، وتؤنسهم بها ، وتزيد في تنبيههم على أحوالها ؛ لاشتراك العلوم اللغوية واشتباكها وترامیها إلى الغاية الجامعة لمعانيها " . ([3]) ويرى ابن جنى **أن البنية العميقة أقدم من البنية السطحية** ؛ حيث يقول :"اعلم أن واضع اللغة لمَّا أراد صوغها وترتيب أحوالها ؛ هجم بفكره على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جملها وتفاصيلها ، وعلم أنه لا بد من رفض ما شنع تألفه منها نحو :(هع وقج وكق) ، فنفاه عن نفسه ، ولم يمرره بشئ من لفظه ، وعلم أيضا أن ما طال وأمل بكثرة حروفه لا يمكن فيه من التصرف ما أمكن في أعدل الأصول وأخفها ؛ وهو الثلاثي ، وذلك أن **التصرف في الأصل** وإن دعا إليه قياس ، وهو الاتساع به في الأسماء والأفعال والحروف ".([4])

([1]) الخصائص (٢٤٢/١) .

([2]) السابق (٢٨٣/١) .

([3]) السابق (٢٤٣/١) .

([4]) السابق (٦٤/١) .

وتحدث ابن جني عن **بعض وسائل التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية** ؛ فيقول :" قيل : يمنع من ذلك أن العرب إذا غيرت كلمة عن صورة إلى أخرى اختارت أن تكون الثانية مشابهة لأصول كلامهم ومعتاد أمثلتهم ؛ وذلك أنك تحتاج إلى أن تنيب شيئا عن شئ ، فأولى أحوال الثاني بالصواب أن يشابه الأول".([1]) ،"وذلك أن العرب إذا حذفت من الكلمة حرفًا ، إمّا ضرورة أو إيثارًا ، فإنها تصور تلك الكلمة بعد الحذف منها تصويرا تقبله أمثلة كلامها ، ولا تعافه وتمجه لخروجه عنها ، سواء كان ذلك الحرف المحذوف أصلاً أم زائدًا ، فإن كان ما يبقى بعد ذلك الحرف مثالاً تقبله مثلهم أقروه عليه ، وإن نافرها وخالف ما عليها أوضاع كلمتها نقض عن تلك الصورة وأصير إلى احتذاء رسومها ".([2]) وابن جني في هذا الشأن يحتاج لدراسة مستقلة بل أكثر دون مبالغة .

خامسًا : <u>عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)</u> : لقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن **ظاهرة التقديم والتأخير وامتدحها ، وتحدث أيضًا عن المعني في البنية العميقة** ؛ ومن ذلك قوله :" إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرًا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب بحكم أنها خدم للمعنى تابعة لها ولاحقة بها ، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق ، .... ، واللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس "([3]) . وقال عن **أسبقية البنية العميقة للبنية السطحية** :"وإذا كان لا يكون في الكلم نظم ولا

([1]) السابق (٢/٦٦) .

([2]) الخصائص (٣/١١٢) .

([3]) ينظر : دلائل الإعجاز ؛ لعبد القاهر الجرجاني ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٧٧م ، وتح : محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨م ، (ص٤٤ــ٤٥) .

ترتيب إلا بأن يُصنع بها هذا الصنيعُ ونحوه، وكان ذلك كله مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء ، ومما لا يتصوّر أن يكون فيه ومن صفته.. بـــانَ لـــك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم ، وأن الكلِم يترتب في النطق حسب ترتيب معانيه في النفس ، وأنها لو خلت مـــن معانيهـــا حتـــى تتجرد أصواتاً وأصداءَ حروف.. لما وقع في ضمير ولا هَجَسَ في خاطر أنه يجب فيها ترتيب ونظم ، وأن يُجعلَ لها أمكنة ومنازل ، وأنه يجب النطـــق بهذه قبل النطق بتلك".([1]) ، **ولعبد القاهر جهودًا جبارة فـــي هـــذا الـــشأن كنظرية النظم وغيرها وهو أشهر من أن يدلل على فضله .**

سادسًا : <u>ابن الأنباري</u> (**ت ٥٧٧هـــ**) :يقول :" وأما قولهم أن العرب تقول : يا نعم المولى ويا نعم النصير ، والنداء من خصائص الأسماء ، فنقـــول : المقصود بالنداء محذوف للعلم به ؛ **والتقدير فيه** : يا الله نعم المولى ونعـــم النصير أنت".([2]) . ويقول أيضًا :"ويجوز الرفع عندي علـــى تقـــدير مبتـــدأ محذوف ؛ والتقدير فيه : أنت الظريفُ ، ويجوز النصب على تقـــدير فعـــل محذوف ؛ **والتقدير فيه** : أعني الظريفَ"([3]) . وغير ذلك الكثير لمـــواطن تقدير البنية العميقة ودراستها .

([1]) ينظر : دلائل الإعجاز ؛ لعبد القاهر الجرجاني ، (ص٨٧) .

([2]) ينظر : أسرار العربية ؛ لأبي البركات الأنباري ، تح : فخر صالح قدارة ، ط دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥م ، (١٠٦/١) .

([3]) ينظر : أسرار العربية ؛ لأبي البركات الأنباري ، (١٠٦/١) .

سابعًا : ابن هشام (ت ٧٦١هـ) : يقول : ثم اختلفوا في مفعول ننزع ، فقال الخليل : محذوف؛ **والتقدير** : لننزعن الفريق الذي يقال فيهم أيهم أشد ، وقال يونس : هو الجملة وعلقت ننزع عن العمل (١).

ويقول :"وأجاز الأخفش الرفع بعد النفي على أن يكون **أصل الكلام** إيجابا ، ثم أدخلت أداة النفي على الكلام بأسره ..الخ.(٢) ، ويقول أيضًا :" وزعم بعضهم أن أمسا في البيت فعل ماض وفاعله مستتر **والتقدير** : مذ أمسى المساء "(٣). ويقول أيضًا:"كقوله عليه الصلاة والسلام من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ؛ **والمعنى** :من توضأ يوم الجمعة فبالرخصة أخذ ونعمت الرخصة الوضوء . وتقول : بئست المرأة حمالة الحطب ، وليست هند مفلحة ، وعست هند أن تزورنا . وأما ما استدل به الكوفيون فمؤول على حذف الموصوف وصفته وإقامة معمول الصفة مقامها ؛ **والتقدير** : ما هي بولد مقول فيه : نعم الولد ، ونعم السير على عير مقول فيه : بئس العير ، فحرف الجر في الحقيقة إنما دخل على اسم محذوف " (٤).

.. وبعد فإن النحاة العرب في تراثهم النحوي قد شغلوا أنفسهم بمعرف البنية العميقة وتقديرها ، فنلاحظ أن هناك بنية عميقة أطول بكثير من البنية السطحية في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى نجد أن هناك

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ؛ لابن هشام ، تح : مازن المبارك ومحمد حمد الله ، ط٦ دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م ، (١٠٨/١) .

(٢) مغني اللبيب (١٧١/١) .

(٣) ينظر : شرح قطر الندى ؛ لابن هشام ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ،القاهرة ١٣٨٣هـ ، (١٩/١) .

(٤) السابق (٢٨/١) .

بنية عميقة أقصر من السطحية ، وبعض البني العميقة أقرب من السطحية ؛ كما أسلوب الاستفهام ، وهناك بنى عميقة تكون نفس السطحية كما في الكلمات لازمة النداء ، وفي البدل بنيتان سطحيتان والعميقة واحدة ، ... الخ .

ثالثًا : شواهد تؤكد عناية النحاة بالبنية العميقة في المفردات والتراكيب

يظهر اهتمام النحاة بالبنية العميقة جليًّا في دراستهم لمعظم أبواب النحو العربي إن لم يكن جلها ، وقد ذكرنا جانبًا فيما سبق ، ونذكر هنا أيضًا جانبًا آخر من زاوية أخرى وذلك كما يلي:

أولاً : في المفردات

وأقصد بها تركيزهم على معرفة البنية العميقة للكلمة المفردة وأصلها ، وظهر ذلك جليًا في كثير من الأبواب والمسائل ؛ ومنها ما يلي :

١ــ (دراسة الكلمات المنقولة والمشتقة) : ومن مظاهر اهتمام النحاة بالبنية العميقة أو أصل الكلمات دراستهم لما يسمي بالكلمات المنقولة والمشتقة . فبالنسبة للاشتقاق فقد درسوا الاشتقاق " وهو أخذ كلمة من أخرى ، وينقسم لديهم إلى ثلاثة أقسام : صغير ؛نحو:(عِلْم ــ عَلِمَ) ، وككبير؛ نحو :(جذب ــ جبذ) ، وأكبر ؛ نحو:(نهق ــ نعق)..الخ . ويرون أن " الاشتقاق فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل"([1]). ولقد دار الخلاف بين النحاة والعلماء العرب حول أصل المشتقات ؛ الفعل الماضي أم المصدر أم الجذر (ولا داعي للإطالة) . ولقد اهتموا بدراسة الكلمات المنقولة ؛ ومن ذلك قولهم :" **ومن اللام المنقولة** قول الله عز

([1]) ينظر : الحدود ؛ للرماني ، تح : إبراهيم السامرائي ، ط دار الفكر ، عمان ، (٦٩/١) .

وجل ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [الحج : ١٣] ؛ معناه : يدعو من لضره أقرب من نفعه(١) ، وعند حديثهم عمّا يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل وهو **سبعة : أحدها** (أعلم) المنقولة بالهمزة من (علم) المتعدية لاثنين تقول : أعلمتُ زيدًا عمرًا فاضلاً.

الثاني : (أرى) المنقولة بالهمزة من (رأى) المتعدية لاثنين نحو :أريت زيدا عمرا فاضلاً ؛ بمعنى : أعلمته ، قال الله تعالى ﴿ **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ** ﴾ [البقرة :١٦٧] ؛ فالهاء والميم (مفعول أول) وأعمالهم (مفعول ثان) وحسرات (مفعول ثالث).(٢) ، وقال ابن مالك وألحق ابن أفلح بـ (أصار)(أكان) المنقولة من (كان) بمعنى (صار)(٣) ، ومن ذلك قولهم : **(اسم المصدر)** والمراد به اسم الجنس المنقول عن موضوعه إلى إفادة الحدث ؛ كالكلام والثواب.(٤) ومن ذلك أيضًا قولهم :" واعلم أن **اسم العلم** على **ثلاثة** أضرب إمّا أن يكون **منقولا** من نكرة أو مشتقا منها أو أعجميا أعرب ، فأما المنقول فعلى ضربين : أحدهما من الاسم ، والآخر من صفة ، أما **المنقول من الاسم النكرة** فنحو حجر وأسد ؛ فكل واحد من هذين نكرة في أصله فإذا سميت به صار معرفة ، **وأما المنقول من صفة** فنحو هاشم وقاسم وعباس وأحمر ؛ لأن هذه أصولها صفات تقول:مررت

---

(١) ينظر : الجمل في النحو ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : فخر الدين قباوة ، ط٥ ،١٩٩٥ م (٢٨٠/١) .

(٢) ينظر: شرح شذور الذهب لابن هشام،تح :عبد الغني الدقر ،الشركة المتحدة ، دمشق ، ١٩٨٤م (٤٨٤/١).

(٣) ينظر : همع الهوامع ؛ للسيوطي ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (٥٤٤/١) .

(٤) شرح شذور الذهب (٥٢٦/١) .

برجل هاشم ، ورجل قاسم وبرجل عباس([1]) ، وعن العلم يقول **ابن مالك** :([2])

ومنه منقول كفضل وأسد وذو ارتجال كسعاد وأدد

٢ـ (دراسة الضمائر) : من المعروف أن الضمير هو اسم مختصر ، والبنية السطحية المنطوقة للضمير يكمن تحتها بنية عميقة ، كما أن جانبًا كبيرًا من هذه الضمائر لا يظهر في البنية السطحية للكلام ؛ ومن ذلك قولهم :" فأمَّا المستتر فينقسم باعتبار وجوب الاستتار وجوازه إلى قسمين : واجب الاستتار وجائزه ، ونعني بواجب الاستتار ما لا يمكن قيام الظاهر مقامه ؛ وذلك كالضمير المرفوع بالفعل المضارع المبدوء بالهمزة كأقوم أو بالنون كنقوم أو بالتاء كتقوم ألا ترى أنك لا تقول : أقوم زيد ، ولا تقول : نقوم عمرو ، ونعني بالمستتر جوازًا ما يمكن قيام الظاهر مقامه ؛ وذلك كالضمير المرفوع " . ([3])

٢ـ (دراسة الترخيم) : الترخيم : التليين ، وقيل : الحذف ، ومنه ترخيم الاسم في النداء ؛ وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر ، كقولك إذا ناديت حارثًا : يا حار ، ومالكًا : يا مال ؛ سمي ترخيمًا لتليين المنادي صوته بحذف الحرف ([4]) ، وقيل : الترخيم حذف آخر الاسم المنادى المبني الزائد على ثلاثة أحرف غير المؤنث ، أما اختصاصه بالآخر فلأن ما بقي من

([1]) الأصول في النحو (١٤٩/١) .

([2]) شرح ابن عقيل ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م ، (١٢٤/١) .

([3]) ينظر : شرح قطر الندى (٩٤/١) .

([4]) ينظر : لسان العرب (٢٣٤/١٢) ، ومختار الصحاح ؛ للرازي ، تح : محمود خاطر ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٥م (١٠١/١) ، وشرح قطر الندى (٢١٣/١) .

الاسم يدل على ما يحذف من آخره إذا كان مشهورا ولا يدل آخره على أوله ، وأما اختصاصه بالمنادى فلأن النداء قد كثر فيه التغيير ؛ لأنه موضع تخفيف وتنبيه بالأسماء المشهورة ([1])

٣ـ (دراسة **الكلمات المركبة**) : من فرط اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة أو أصل الكلمة أو الكلام اهتمامهم بأصل الكلمات المنطوقة (السطحية) ومعرفة بنيتها العميقة (الأصلية) ؛ ولذلك نجد عندهم الحديث عن التركيب الذي ينتج لنا كلمة مكونة من كلمتين (التركيب المزجي ـ الإسنادي ـ الإضافي) ، فالمزجي مثل : حضر موت ، فأصلها (حضر) و (موت) ، والإسنادي مثل : (جاد الحقُ) فأصلها (جاد) و (الحقُ) ، والإضافي : مثل : (عبد الله) فأصلها (عبد) و (الله) ..الخ . وكذلك تحليلهم للكلمات مثل (مهما ، كأنما ، كذا ، كأين ، هذا ، ها هنا ، كذالك وهنالك ، ربما ، ممَّا ، ..الخ) ، فمثل هذه الكلمات لها بنية عميقة أصلية غير المنطوقة السطحية بيد أن التشابه بين البنيتين جلي .

٤ـ (دراسة **الإعلال والإبدال والإدغام**) :

* **الإعلال** : تغيير حرف العلة للتخفيف ، و يجمعه القلب و الحذف والإسكان و حروفه الألف و الواو و الياء ، ولا يكون الألف أصلاً في متمكن ولا في فعل ولكن عن واو أو ياء([1]) .

([1]) اللباب ؛ للعكبري ، تح : عبد الإله النبهان ، ط دار الفكر ، دمشق ١٩٩٥م (١/٣٤٥) ، وينظر: الكتاب ؛ لسيبويه (٢/٢٣٩ ،٣/٤٧٦) ، والأصول ؛ لابن السراج (١/٣٥٩) ، والمقتضب ؛ للمبرد ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط عالم الكتب ، بيروت (٢/٢٩٣) ، وأسرار العربية (١/٣٤ ، ٢١٤ـ٢١٨) ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ؛ لابن هشام ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٥ دار الجيل ، بيروت ١٩٧٩م ؛ (٤/٥٥) ، والخصائص (١/٢٧١) ، والهمع (٢/ ٧٤) .

* **الإبدال** : جعل حرف مكان غيره و يعرف باشتقاقه كتراث و أجوه ، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء [1] ، والأحرف التي تبدل من غيرها إبدالاً شائعا لغير إدغام تسعة يجمعها (هدأت موطيا) وخرج بقولنا شائعًا نحو قولهم في (أصيلان) تصغير (أصيل) على غير قياس وفي اضطجع[2] ، وقيل : الإبدال أحرفه (طويت دائما) فتبدل (الهمزة) من كل (ياء) أو (واو) طرفًا ولو تقديرًا بعد ألف زائدة أو بدلاً من عين فاعل معلها ، ومن أول واوين صدرتا وليست الثانية مدة (فوعل) أو مبدلة من همزة ، ومن واو خفيفة ضمت لازما ، ومن تالي ألف شبه (مفاعل) مدا مزيدا أو ثاني لينين اكتنفاها ، ويفتح هذا الهمزة مجعولا واوا إن كانتها اللام وسلمت في المفرد بعد ألف وياء إن كانت غيرها أو همزة . والإبدال قسمان شائع وغيره ، **فغير الشائع** : وقع في كل حرف إلا الألف ، وألّف فيه أئمة اللغة كتبا منهم يعقوب بن السكيت وأبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ، وفي المزهر للسيوطي نوع منه حافل ، **والشائع الضروري** في التصريف : أحرفه ثمانية يجمعها قولك طويت دائما[3] .

ولم يكتفِ النحاة العرب بدراسة الإبدال عند العرب بل درسوه **عند أهل الفارسية** ، ومن ذلك قول سيبويه :"هذا باب اطراد الإبدال في الفارسية يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيم لقربها منها ولم يكن من

---

(1) ينظر : الشافية في علم التصريف ؛ (٩٤/١) ، وينظر : الأصول ؛ لابن السراج ٣١٣/٣ ، والخصائص (١٥٥/٢) ، وسر الصناعة (٣١٦/٢) ، والإنصاف في مسائل الخلاف ؛ لابن الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر ، دمشق (٨٠٨/٢) .

(2) ينظر : لسان العرب (٤٨/١١) ، والشافية (١٠٩/١) .

(3) أوضح المسالك (٣٧٠/٤) .

(4) الهمع (٤٦٦/٣ ــ ٤٦٧) .

إبدالها بد لأنها ليست من حروفهم وذلك نحو الجربز والآجر والجورب ، وربما أبدلوا القاف لأنها قريبةٌ أيضاً قال بعضهم قربزٌ وقالوا كربقٌ وقربقٌ ، ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم إذا وصلوا الجيم وذلك نحو كوسه وموزه لأن هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس همزةً مرة وياءً مرةً أخرى فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم وأبدلوا الجيم لأن الجيم قريبة من الياء وهي من حروف البدل والهاء قد تشبه الياء ([1])

* **الإدغام** : وأصل الإدغام في اللغة الإخفاء والإحكام ، والإدغام قيل : أن تصل حرفا بحرف مثله من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فينبو اللسان عنهما نبوة واحدة ، فإن قيل فعلى كم ضربًا الإدغام ؟ قيل على ضربين : إدغام حرف في مثله من غير قلب ، وإدغام حرف في مقاربه بعد القلب ، فأما إدغام الحرف في مثله ؛ فنحو : شدَّ وردَّ ، والأصل فيه : شدد وردد إلا أنَّه لمَّا اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد سكَّنوا الأول منهما وادغموه في الثاني ، وحكم المضارع في الإدغام حكم الماضي نحو : يشدُّ ويردُّ وما أشبه ذلك ، وأما إدغام حرف في مقاربه فهو أن تبدل أحدهما من جنس الآخر وتدغمه فيه ، والعلة في الإدغام أن الحرفين إذا كانا مثلين كان مخرجهما واحدًا فيثقل على اللسان أن يرفعه ثم يعيده في الحال إلى موضعه وهذا شبه بمشي المقيد لأنه كان لا يزايل موضعه ([2]) .

([1]) كتاب سيبويه (٤/٣٠٥) .

([2]) وينظر : الكتاب (٤/٤١٧، ٤٣١) ، والمقتضب (١/١٩٢) ، والأصول (٣/٣٩٩) ، والخصائص (٢/١٣٩)، وأسرار العربية (١/٣٥٨) ، والشافية (١/١٢٠) ، واللباب (٢/٤٦٩) ، والهمع (٣/٤٨٢) ، وغيرها .

٥ــ **القلب المكاني**:هو: تقديم بعض الحروف أو تأخيرها داخل الكلمة الواحدة ؛ نحو:أشياء، يقولون:أصلها : شيئاء ، وجاه ،أصلها : وجه ،..الخ . ويرى النحاة العرب أن القلب "يعرف بأصله ؛ كناء يناء مع النأي ، كالجاه و الحادي و القسي ، وبصحته ؛ كأيس ، وبقلة استعماله ؛ كآرام و آدر ، وبأداء تركه إلى همزتين عند الخليل نحو :جاء أو إلى منع الصرف بغير علة على الأصح نحو:أشياء ؛ فإنها لفعاء ، و قال الكسائي:أفعال ، وقال الفراء:أفعاء ،وأصلها أفعلاء".([1])

٦ــ **بناء الفعل للمجهول** : من الأبواب الصرفية والنحوية المشهورة ، ويُعدُّ مظهرًا من مظاهر اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة ؛ لدراستهم بناء الفعل للمفعول (للمجهول) ودراستهم للتغيرات التي تحدث لبنية الفعل وكذلك بنية الجملة ؛ **فالماضي** يُضم أوله ويُكسر ما قبل الآخر ، **والمضارع** يُضم أوله ويُفتح ما قبل الآخر ، وقد تحدث بعض التغيرات الخاصة لبعض الأفعال كالفعل الأجوف ؛ نحو :(قال) تصبح (قيل) ..الخ ، فجملة :(كُسِرَ الزُّجَاجُ) بنية سطحية ، وبنيتها العميقة (كَسَرَ الولدُ الزجاجَ) ، وجملة (يُصَامُ رمضانُ) بنيتها العميقة (يصوم المسلمون رمضانَ) .

ففي هذا الباب أمران يتعلقان بالبنية العميقة ؛ **هما صورة الفعل والفاعل ونائبه** .وعن ذلك يقول ابن هشام :" يضم أوله مطلقا ويكسر ما قبل آخره في الماضي ويفتح في المضارع ثم بعد ذلك يقام المفعول به مقام الفاعل فيعطى أحكامه كلها فيصير مرفوعا بعد أن كان منصوبا([2])

([1]) ينظر : الشافية (١/٨ ــ ٩) ، وغيرها .

([2]) شرح شذور الذهب (١/٢٠٧) .

٧ـ (دراسة **الصريح والمؤول**) : مصطلحا الصريح والمؤول يدلان على اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة أيضًا ، وهذا يكون في أبواب : **المبتدأ** ، **والفاعل** ، **والمصدر** ، **والنعت** ، **ونصب الفعل** ، **والصفة المشبهة** ، ..الخ . ومن ذلك قولهم :"اعلم أن **الفاعل** عبارة عن اسم صريح أو مؤول به أسند إليه فعل أو مؤول به مقدم عليه بالأصالة واقعًا منه أو قائمًا به ؛ مثال ذلك (زيد) من قولك : ضرب زيدٌ عمرًا" ([1]) ، والفاعل المؤول نحو : يعجبني أن تدافع عن المظلومين ؛ أي : يعجبني دفاعك . ومن المبتدأ المؤول قوله تعالى : ﴿ **وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النساء : ٢٥] ، ومن ذلك قولهم :" **النعت** : وهو التابع المشتق أو المؤول به ؛ المباين للفظ متبوعه "([2]) ، وعند حديثهم عن (**حتَّى**) يقول أحدهم :" وتدخل على الاسم المؤول من (أن) حال كونها مضمرة وجوبًا ومن الفعل المضارع وهي في ذلك على وجهين فتكون تارة بمعنى (إلى) نحو قوله تعالى ﴿ **لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾ [طه :٩١] ؛ التقدير : حتى أن يرجع بأن والفعل المضارع ؛ أي إلى رجوعه بتأويل المصدر من أن والفعل أي زمان رجوعه([3]) ، وعند حديثهم عن **الصفة المشبهة** يقول أحدهم :"ومثال المؤول به :مررت برجل أسد ؛ أي:شجاع"([4]) .

٨ـ (دراسة **العمد والفضلات والزوائد والإلحاق ..الخ**) : لقد حدد النحاة العرب البنية العميقة للجمل العربية في نمطين : الجملة الاسمية

([1]) السابق (١/١٨٠) .

([2]) السابق (١/٢٨٣) .

([3]) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب ؛ لخالد الأزهري ، تح : عبد الكريم مجاهد ، ط الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦م (١/١٠٥) .

([4]) شرح شذور الذهب (١/٥٥٦) .

(المبتدأ + الخبر) و الجملة الفعلية (الفعل + الفاعل) ، وهم يسمون هذه الأشياء الأربعة (العُمَد) وما سواهم (فضلات) أو مكملات الجملة " المفعول به ، والتحذير ، والإغراء ، والاختصاص ، والمنادى ، والمندوب ، والاستغاثة ، والترخيم ، والمفعول المطلق ، والمفعول له ، والمفعول فيه ، والمفعول معه ، والمستثنى ، والحال ، والتمييز ، ونواصب المضارع " .([1]) ومن ذلك تأكيدهم على أهمية الفاعل ؛ لأن الفاعل عمدة فلا يحذف([2]) ، ويقولون :" إنه عمدة ؛ لأن الفعل لا يستغنى عنه "([3]) .

ويقولون :" والخبر عمدة في الكلام كالمبتدأ ، والعمدة لا يصح الاستغناء عنها" ([4])، ولذلك "ذهب الكوفيون إلى أنهما ترافعا ، فالمبتدأ رفع الخبر والخبر رفع المبتدأ ؛ لأن كل منهما طالبٌ الآخر ومحتاج له وبه صار عمدة "([5]) .

وعن الفضلة يقولون :"والمفعول فضلة في الكلام "([6]) ، "كالحال والظرف والمصدر ونحو ذلك مما إذا ذكرته زدت فى الفائدة ، وإذا حذفته لم تخل بالكلام ؛ لأنك بحذفه مستغن"([7]) ، ومن ذلك قولهم :"الأصل جواز حذف المفعول به ؛ لأنه فضلة ، ويمنع في صور: **أحدها** : أن يكون نائبا

([1]) ينظر : همع الهوامع (٤/٢) .

([2]) شرح شذور الذهب (٢١٥/١) .

([3]) شرح قطر الندى (٢٣١/١) .

([4]) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب (٦٣/١) .

([5]) همع الهوامع (٣٦٤/١) .

([6]) الأصول في النحو (٧٥/١) .

([7]) المقتضب (١١٦/٣) .

عن الفاعل ؛ لأنه صار عمدة كالفاعل"([1]) ، و" المفعول المطلق : وهو عبارة عن مصدر فضلة تسلط عليه عامل من لفظه([2]) ، "والمفعول معه : وهو اسم فضلة بعد واو أريد بها التنصيص على المعية مسبوقة بفعل أو ما فيه حروفه ومعناه ؛ نحو : سرت والنيل ، وأنا سائر والنيل" ([3]) ، "والحال : وهو وصف فضلة يقع في جواب كيف([4])" ، " والنعت : فضلة يجوز حذفها"([5]) ، "والتمييز: وهو اسم فضلة نكرة جامد مفسر لما انبهم من الذوات([6]) ، ويقولون :" وأما إذا كان المحذوف فضلة فلا يشترط لحذفه وجدان الدليل ولكن يشترط ألا يكون في حذفه ضرر معنوي كما في قولك ما ضربت إلا زيدا أو صناعي كما في قولك زيد ضربته وقولك ضربني وضربته زيد([7]) ، " ويقام المفعول به مقام الفاعل فيعطى أحكامه كلها فيصير مرفوعا بعد أن كان منصوبا وعمدة بعد أن كان فضلة" ([8]) ، ومن ذلك قولهم :" الحرف أبدا فضلة في الكلام([9]) ، ومن ذلك حديثهم عن (أل) الزائدة في الكلمة ؛ فهي زائدة لازمة ؛ مثل : الآن ، الذي ، ..الخ ، زائدة للمح الأصل ؛ مثل : الحارث ، النعمان ، زائدة للضرورة ؛ مثل : بنات أوبر ، ..الخ .

([1]) أسرار العربية (١/٣٢٨) ، وهمع الهوامع (٢/١١) .

([2]) شرح قطر الندى (١/٢٢٤) .

([3]) السابق (١/٢٣١) .

([4]) السابق (١/٢٣٤) .

([5]) المقتضب (٤/٣٩٩) .

([6]) شرح قطر الندى (١/٢٣٧) .

([7]) مغني اللبيب (١/٧٨٧) .

([8]) شرح شذور الذهب (١/٢٠٧) .

([9]) همع الهوامع (٣/١٠٢) .

٩ــ (**دراسة الحذف والتعويض والإلحاق**) : لقد اهتم النحاة العرب بدراسة ظاهرة الحذف اهتمامًا بالغًا ؛ وذلك حرصًا منهم على معرفة البنية العميقة وتقديرها ، وسوف نتعرض لذلك فيما بعد ، ولقد اهتم النحاة أيضًا بما يسمى التعويض ، " لأنهم قصدوا التعويض رعاية للأصل"([1]) ، " ولأن الغرض من التعويض تكميل الكلمة وأين كملت حصل غرض التعويض"([2]) ، " وهذا التعويض نوعان : تعويض جواز و تعويض وجوب"([3]) .

ومن ذلك قولهم :" فلا يجوز أن يلتفظ به لأن المذكور عوض عن المحذوف وهم لا يجمعون بين العوض والمعوض عنه" .([4]) ومن أمثلة التعويض ما يلي :

(**تنوين**) التعويض وهو اللاحق لنحو غواش وجوار عوضا عن الياء ولإذ في نحو﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون﴾ عوضًا عن الجملة التي تضاف (إذ) إليها وهذه الأنواع الأربعة مختصة بالاسم، و(تنوين) العوض وهو اللاحق عوضا من حرف أصلي أو زائد أو مضاف إليه مفردا أو جملة فالأول كجوار وغواش فإنه عوض من الياء ..الخ)([5])، و(**ياء**) العوض كقولك مررت بزيدي في قول من عوض من التنوين في الجر والرفع كما يعوض في

([1]) اللباب (١٠٦/١) .

([2]) مسائل خلافية في النحو للعكبري ، تح : محمد خير الحلواني ، دار الشرق العربي ، بيروت١٩٩٢م (٦٣/١) .

([3]) أسرار العربية (٧٢/١) (بتصرف) .

([4]) شرح شذور الذهب (٢١٧/١) .

([5]) ينظر : مغني اللبيب (٤٤٦/١) ، وأوضح المسالك (١٥/١) .

النصب إذا قلت رأيت زيدا([1])،وياء التعويض زائدة ،و(**تاء**) العوض نحو تاء بنت وأخت جعلت عوضا من المحذوف([2]) ، و(**همزة**) التعويض تكون فيما حذف منه لامه لا فاؤه ألا ترى أنهم لما حذفوا الواو التي هي اللام من بنو عوضوا الهمزة في أوله فقالوا ابن ولما حذفوا الواو التي هي الفاء من عدة ونحو ذلك لم يعوضوا الهمزة في أوله فلما عوضوا الهمزة ههنا في أوله دل على أن الأصل فيه سمو كما أن الأصل في ابن بنو إلا أنهم لما حذفوا الواو التي هي اللام عوضوا الهمزة في أوله فقالوا اسم فدل على أنه مشتق من السمو لا من السمة السمة([3]) ، و(**فاء**) التعويض وهي الزائدة عوضا من أخرى محذوفة كقولك ضربت فيمن رغبت أصله ضربت من رغبت فيه([4]) .

ثانيًا : في الجمل والتراكيب

ممَّا لاشك فيه هو انتشار ظواهر لغوية كثيرة في التراكيب العربية وقد اهتم النحاة بدراستها ؛ ومن ذلك : **ظاهرة الحذف** ، **وظاهرة التقديم والتأخير** ، و**التضمين** ، **والحمل بأنواعه** ، **والاختصار والإيجاز** ، **والاتساع** ، **والاستغناء** ، وغير ذلك الكثير ؛ مما ذاع صيته في التراث النحوي العربي ، وسوف تتعرض هذه الدراسة لكثير من هذا الظواهر بعد قليل بإذن الله تعالى عند حديثها عن وسائل التحويل أو الانتقال من البنية العميقة إلى البنية العميقة .

([1]) الأصول في النحو (٣٦/٣) ،ومنازل الحروف للرماني،تح:إبراهيم السامرائي ، دار الفكر ، عمان (٢٩/١).

([2]) منازل الحروف (٣٣/١) .

([3]) أسرار العربية (٣٢/١) .

([4]) مغني اللبيب (٢٢٥/١) .

هذا وقد ظهر جليًّا لدى النحاة العرب عند دراستهم لكثير مكن الجمل والتراكيب العربية ظهر اهتمامهم وعنايتهم بمعرفة البنية العميقة وتقديرها ، وأسوق هنا بعض الأمثلة ، وذلك على النحـــو التالي :

١ــ دراسة العامل في الجملة (نظرية العامل) :

لقد لعبت نظرية العامل دوراً خطيراً وبـــارزاً فـــى تـــاريخ النحـــو ودراساته فهذه النظرية (هى التى بنيت عليها من قبل أصول النحو واستقرت قواعده وشغلت النحاة ألف عام ويزيد، وملأت مئات الكتب النحويـــة خلافـــا وفلسفة وجدالا، بل تمثلت لها فلسفة خاصة أفردت بالتأليف" [١]" والعامل هو المسؤل عما أصاب النحو العربى من تعقيد وإن كان أول أمره وضع لتعليم اللغة وتسهيل تراكيبها للدارسين) [٢]، لأنه لكل معمول عمل، فلا يوجد عامل بدون عمل ولا عمل بدون معمول ، والعامل هوالذى أحدث فى آخر الكلمة رفعًا أو نصبًا أو جرًا أو جزمًا) ' وهم يرون " بألا يكتفى بأثر العامل وهو موجود بل أعطى له الحق فى التأثير –العمل– وهو محذوف " [٣] .

٢ــ <u>نصب الفعل بأن المضمرة</u> :عند دراسة النحاة لنصب الفعل المـــضارع يتعرضون لنصب الفعل المضارع بـــ (أن) المضمرة بعد ((لام) الجحود ، وحتَّى ، و (أو) العاطفة ، و (فاء) السببية ، و (واو) المعية) ، والـــشواهد والأمثلة على الترتيب : ﴿ **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِـيهِمْ** ﴾ [الأنفـــال : ٣٣] ؛ أي : لأن يعذبهم ، وقوله تعالى ﴿ **كُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّـــى يَتَبَـــيَّنَ لَكُـــمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**﴾ [البقرة :١٨٧] ؛ أي : حتَّى أن يتبين ، ومنه قوله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيـــاً أَوْ مِـــن**

---

(١) ينظر : إحياء النحو ؛ لإبراهيم مصطفى ، ط لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٥٩م ، (ص ١٩٥،١٩٤)

(٢) قرينة العلامة الإعرابية ؛ لمحمد حماسة عبد اللطيف ، القاهرة ، (ص١٨٧) .

(٣) السابق (ص ١٠٥) .

وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ [الأحزاب :٥٣] ؛ أي : أو أن يرسل رسولا ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يا ليتني كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [النساء :٧٣] ؛ أي : فأن أفوز ، ومن شواهد (واو) المعية قول الشاعر : **لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم**

٣ــ **أسلوب النداء** : باب النداء من الأبواب المشهورة في الدرس النحوي ، وما يهمنا هنا اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة عند دراستهم لبعض مسائل هذا الباب ، ومن ذلك قولهم : الأصل في النداء أن يدخل على الاسم ، ولقد تعرَّض النحاة لدراسة الشواهد التي يدخل فيها النداء على غير الاسم ؛ ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ [النمل : ٢٥] ؛ والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا، ومنه قوله تعالى ﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ [الكهف :٤٢] ؛ والتقدير : يا هؤلاء ليتني ، ومن ذلك قول الشاعر : **فيا ربّما بات الفتى وهو آمنٌ وأصبح قد سدت عليه المطالع**

أي : فيا هؤلاء ربما ، وعليه فقد اجتهد النحاة في تقدير البنية العميقة لكل البنى السطحية السابقة وما يماثلها .

٤ــ **أسلوب الاختصاص** : يرى النحاة أن الاسم المنصوب على الاختصاص " من المفعولات التي التزم معها حذف العامل المنصوب على الاختصاص ، وهو كلام على خلاف مقتضى الظاهر ؛ لأنه خبر بلفظ النداء ، وحقيقته أنه اسم ظاهر معرفة قصد تخصيصه بحكم ضمير قبله ، والغالب على ذلك الضمير كونه لمتكلم نحو :(أنا ونحن) ، ويقل كونه لمخاطب ويمتنع كونه لغائب" (١) ، ويرى السيوطي ــ وغيره ــ أنه :"من المنصوب مفعولاً به بفعل واجب الإضمار باب الاختصاص ، وقدره سيبويه بـ (أعني)

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه (٢/٢٣٣) ، وشرح شذور الذهب (١/٢٨٢) .

ويختص بـ (أي) الواقعة بعد ضمير المتكلم نحو : أنا أفعل كذا أيها الرجل ، واللهم اغفر لنا أيتها العصابة ، ... ، فيجيء لفظه على موضع النداء نصباً ؛ لأن موضع النداء نصب ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء لأنهم لم يجروها على حروف النداء ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء ؛ وذلك قولك : إنا معشر العرب نفعل كذا وكذا ، كأنه قال : أعني ، ولكنه فعل لا يظهر ولا يستعمل كما لم يكن ذلك في النداء ؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب وأنهم لا يريدون أن يحملوا الكلام على أوله ولكن ما بعده محمول على أوله"([1]).

٥ـ **التحذير والإغراء** : التحذير والإغراء من الأساليب التي اهتم بها النحاة وغيرهم ، وكانت البنية العميقة مطلبهم عند دراستهم لمثل هذه الأساليب . **فالتحذير** كما يقول بعضهم :" من المنصوب على المفعول به بإضمار فعل لا يظهر باب التحذير وهو إلزام المخاطب الاحتراز من مكروه بـ إيا أو ما جري مجراه ، وإنما يلزم إضماره مع إيا مطلقا نحو إياك والشر فالناصب لـ إيا فعل مضمر لا يجوز إظهاره ومن المنصوب باللازم إضماره قولك في التحذير :

إياك والأسد ؛ أي : اتق نفسك أن تتعرض للأسد والأسد أن يهلكك ([2]) ، ومن النصب من التحذير قولهم : رأسك والحائط والأسد الأسد معناه احذر الأسد قال الله تعالى ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾[الشمس :١٣] ومعناه : احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء .

([1]) ينظر : همع الهوامع (٢/٢٨) .

([2]) ينظر : الجمل في النحو (١/٨٣) ، وهمع الهوامع (٢/٢٢) ، والمفصل (١/٧٣) .

ويدلو ابن الأنباري بدلوه قائلاً :" إن قال قائل ما وجه التكرير إذا أرادوا التحذير في نحو قولهم ا الأسد الأسد قيل أنهم أرادوا أن يجعلوا أحد الاسمين قائما مقام الفعل الذي هو احذر و لهذا إذا كرروا لم يجز إظهار الفعل و إذا حذفوا أحد الاسمين جاز إظهار الفعل فدل على أن أحد الاسمين قائم مقام الفعل فإن قيل فأي الاسمين أولى بأن يقوم مقام الفعل قيل أولى الاسمين بأن يقوم مقام الفعل هو الأول لأن الفعل يجب أن يكون مقدمًا على الاسم الثاني لأنه مفعول فكذلك الاسم الذي يقوم مقام الفعل ينبغي أن يكون مقدمًا " (١)

* **الإغراء** : وهو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله ، وحكم الاسم فيه حكم التحذير الذي لم يذكر فيه (إيا) فلا يلزم حذف عامله إلا في عطف أو تكرار كقولك : المروءة والنجدة ؛ بتقدير الزم ؛ ومنه قول الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

ويرى السيوطي أنه " من المنصوب مفعولا به بإضمار فعل واجب الإضمار باب الإغراء وهو إلزام المخاطب العكوف على ما يحمد عليه ، وإنما يجب الإضمار في صورتين إذا عطف أو كرر كقولك الأهل والولد وقولك العهْدَ العَهْدَ (٢) ، ويقول ابن الأنباري :" إن قال قائل لم أقيم بعض الظروف و الحروف مقام الفعل ؟ قيل : طلبًا للتخفيف ؛ لأن الأسماء و الحروف أخف من الأفعال فاستعملوها بدلاً عنها طلبًا للتخفيف" .(٣)

---

(١) ينظر : أسرار العربية (١/١٥٩) .

(٢) ينظر : همع الهوامع (٢/٢٦) .

(٣) ينظر : أسرار العربية (١/١٥٥) .

٦ــ **التمييز النسبة** : يرى النحاة العرب **أن** : التمييز نوعان : مفسر لمفرد ومفسر لنسبة ، وما يهمنا هنا النوع الثاني ، وعن ذلك يقول النحاة :" وأما أقسام التمييز المبين لجهة النسبة **فأربعة** :

أحدها : أن يكون محولاً عن الفاعل كقول الله عز وجل واشتعل الرأس شيبا أصله واشتعل شيب الرأس وقوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا أصله فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء منه فحول الإسناد فيهما عن المضاف وهو الشيب في الآية الأولى والأنفس في الآية الثانية إلى المضاف إليه وهو الرأس وضمير النسوة .

الثاني : أن يكون محولا عن المفعول كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا قيل التقدير وفجرنا عيون الأرض وكذا قيل في غرست الأرض شجرا ونحو ذلك

الثالث : أن يكون محولا عن غيرهما ؛ كالواقع بعد ما يفيد **التعجب** نحو: أكرم به أبا ، وما أشجعه رجلاً ، والواقع بعد **اسم التفضيل** ؛ وشرط نصب هذا كونه فاعلاً معنى نحو : زيد أكثر مالاً ، بخلاف : مال زيد أكثر مال ، وإنما جاز: هو أكرم الناس رجلاً ؛ لتعذر إضافة أفعل مرتين ، ومن ذلك قوله تعالى (أنا أكثر منك مالاً) ؛ أصله : مالي أكثر ، فحذف المضاف وهو (المال) وأقيم المضاف إليه وهو ضمير المتكلم مقامه ؛ فارتفع وانفصل وصار: أنا أكثر منك ، ثم

جيء بالمحذوف تمييزًا . **الرابع** : أن يكون غير محول كقول العرب : لله دره فارسًا ، وحسبك به ناصرًا " (١) .

---

(١) ينظر : شرح شذور الذهب (٣٣٤/١) .

رابعًا: وسائل الانتقال من البنية العميقة إلى السطحية في المفردات والتراكيب

يرى كثير من علمائنا ــ كما يروي الدكتور كمال بشر ــ ومنهم الدكتور عبده الراجحي أن " اعتبار اللغة عملاً للعقل أو آلة للفكر، والتعبير الذاتيّ ، يعني أن للغة جانبين: جانبًا داخليًا وآخر خارجيًا . وكل جملة يجب أن تدرس من الجانبين. أما الأول فيعبر عن الفكر، وأما الثاني فيعتبر عن شكلها الفيزيقي باعتبارها أصواتًا ملفوظة ". ويستمر قائلا: "وهذه الأفكار هي التي ظهرت بعد ذلك عند "تشومسكي" تحت اسم البنية العميقة والبنية السطحية، ولما كانت البنية العميقة تعبر عن المعنى في كل اللغات، فإنها تعكس أشكال الفكر الإنساني. وعلينا أن نعرف كيف تتحول هذه البنيةُ إلى كلام على السطح. ولما كانت اللغة لانهائيةً فيما تُنتج من جمل، رغم انحصار مادتها الصوتية، فإن هذا النحوَ يهتم أيضًا بدراسة النظام الأساسيّ الذي تتولد منه قوانينُ البنية العميقة قبل تحويلها إلى كلام على السطح" ([1]) . ومن المعروف أن تشكيل الجملة في النحو التوليدي يتضمن منظومتين من القواعد : (الأولى) هي الأساس الذي تتولد منه البنية العميقة للجملة، وهذا ما يعبر عنه بالمولد المعنوي الذي يمنح الجملة معناها. (والثانية) هي المولد التحويلي الذي ينتقل بالبنية العميقة إلى بنية سطحية، وهذه بدورها يعبر عنها بالمولد الصوتي الذي يمنحها اللفظ. وهكذا فإن توليد جملة كاملة يتضمن المراحل التالية: [الأساس ← البنية العميقة ؛ المولد المعنوي ← معنى المولد النحوي < المولد التحويلي ↑البنية السطحية ← المولد

([1]) الدكتور : كمال بشر في كلمته التي رحب فيها بالدكتور: عبده الراجحي عند انضمامه لعضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الصوتي ، لفظ] ، وإن هذه النقلات النظرية أثرت في المكونات التركيبية وفي علاقتها بالصوت والمعنى. لكن ما ظل على حاله فيها كلها هو:

(أ) أن هناك مرحلة أولى في الاشتقاق يقع فيها التأليف بين الكلمات أو المورفيمات لبناء بنيات تركيبية .

(ب) وأن هذه البنيات تخضع لعدد من العمليات التركيبية المتنوعة .

(ج) وأن بعض هذه البنيات يجري إرساله إلى الواجهة الصوتية ليتحول إلى متواليات منطوقة، وبعضها الآخر يرسل إلى الواجهة الدلالية لكي يتحول إلى متواليات مفهومة. فالتركيب باختصار شديد ظل مصدر النظام اللغوي في تفاصيله كلها . وخلال دراستنا لكثير من الأبواب النحوية أو تصفح كثير من المؤلفات النحوية يلحظ القارئ بكل يسر عدة وسائل يمكن للمتكلم أن يتحول بها من البنية العميقة إلى البنية السطحية ؛ وقد اهتم النحاة العرب بدراسة هذه الوسائل بصورة جلية ، ومن ذلك ما يلي :

١ــ الحذف :

* **الحَذْفُ اصْطِلاحًا** : يقصد به النحاة " حَذْفُ العَامِلِ مَعَ بَقَاءِ أَثَرِهِ الإعْرَابِيّ ؛ أَوْ هُوَ : إسْقَاطُ صِيَغٍ ــ أَلْفَاظٍ ــ دَاخِلَ التَرْكِيْبِ فِي بعضِ المَوَاقِفِ اللُّغَوِيَّةِ ، وهذه الصِّيَغُ التي يَرَى النُّحَاةُ أَنَّها محذوفةٌ تَلْعَبُ دَوْرًا في التركيبِ في حَالَتَيّ الذِّكْرِ والإسْقَاطِ ، وهذه الصِّيَغُ يُفْتَرَضُ وجُوْدُهَا نَحْوِيًا لِسَلامَةِ التركيبِ وتطبيقًا للقواعدِ ، ثُمَّ هي موجودةٌ ويُمْكِنُ أَنْ تكونَ مَوْجُوْدَةً في مواقفَ لُغَوِيَّةٍ مختلفةٍ"([1]).وبعضهم يطلق الحذف علي "ما لا

([1]) الحذف والتقدير ؛ لعلي أبو المكارم ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، القاهرة ١٩٦٤م ، (ص١٩٦) .

يبقى له أثـرٌ في اللفظ"[1] ، ويُمْكِنُ أن يُطلق علي " حذف العامل وتدع مـا عمل فيه علي حاله من الإعراب[2]"، ويُمكن القول هنا:

إنّ المحذوفَ شبه معروف على الرُّغم من غيابه ؛ ويُمكن تقديره بـسهولة لأنَّهُ مفهومٌ من السِّيَاقِ . ويري **ابن هشام** أنّ "الحذف الذي يلـزم النحـوي النظر فيه هو ما اقتضته الصِّنَاعَةُ ، وذلك بأنْ يجد خبـرًا بـدون مبتـدأ أو بالعكس ، أو شرطًا بدون جزاء أو بالعكس ، أو معطوفًا أو معمـولاً بـدون عامل"[3]، ويَشْتَرِطُ النُّحَاةُ والعلماءُ شـروطًا لوقـوع الحـذف النحـويّ ، وتتلخص فيما يلـي :

١ــ **وجودُ دَلِيلٍ مَقَالي** : وهو كلام يدل علي المحذوف ؛ كما في قوله تعالي ﴿مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [4] ؛ أي : أنزل خيرًا ، فحذف الفعل للـدليل المقالي .

٢ــ **وجودُ دليلٍ حَالي**: ويُفْهَمُ من سياق الكلام وحال المتكلمين ؛ نحو قولـه :﴿قَالُوا سَلاَماً﴾[5].

٣ــ **وضوحُ المعني وأَمْنُ اللَّبْسِ** : وهذا من أهـم الـشروط التـي يجـب مراعاتها مع كُلِّ ما يتصل بالنشاط اللغوي وظواهره المختلفة ؛ كالاختصار والاستغناء والحذف والتقديم والتأخير..الخ .

---

(1) البرهان في علوم القرآن ؛ للزركشي ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٧٢م ، (٣ /١٠٢) .

(2) الحذف والتقدير (ص ٢٠٥) .

(3) مغني اللبيب (١٧٦/٢) .

(4) سورة النحل ، الآية (٣٠) .

(5) سورة الفرقان ، الآية (٦٣) .

٤ــ **ألا يكون مُؤكَّدًا** : لأنَّ الحذفَ مناف للتأكيد إذْ الحذفُ مَبْنِيٌّ على الاختصار والتأكيد مَبْنِيٌّ على الطول .

٥ــ **ألا يُؤَدِّي حَذْفُهُ إلى اخْتِصَارِ المُخْتَصَرِ** : ومن ثَمَّ لم يُحْذَفْ اسمُ الفعلِ ؛ لأنَّهُ اخْتِصَارٌ للفعلِ ، وقال **ابن جني** في المحتسب : أخبرنا **أبو علي** قال:حذف الحرف ليس بقياسٍ ؛ لأنَّ الحروفَ إنَّمَا دخلت الكلامَ لِضَرْبٍ من الاختصارِ ، فلو ذَهَبْتَ تحذفها لكنت مُخْتَصِرًا لها هي أيضًا واختصارُ المُخْتَصَرِ إجْحَافٌ بِهِ حذف(١). ويرى **ابن هشام** أنَّه " جَرَتْ عَادَةُ النَّحْوِيِّينَ أنْ يقولوا يحذف المفعول اختصارًا واقتصارًا ، ويُريدون بالاختصارِ الحذفَ لدليلٍ وبالاقْتِصَارِ الحذفَ لغَيْرِ دَلِيلٍ ، ويمثلونه بنحو : كلوا واشربوا ؛ أي : أوقعوا هذين الفعلين "(٢) .

هذا ويشيعُ الحذفُ ومظاهرُهُ في معظمِ أبوابِ النَّحْوِ العربّي والصرفِ ؛ وذلك لأنَّ " العربَ قد حذفت الجملةَ والمفردَ والحرفَ والحركةَ ، وليس من شيءٍ من ذلك إلا عن دليلٍ عليه ، وإلا كان فيه ضربٌ مِنْ تَكْلِيفِ عِلْمِ الغَيْبِ في معرفته"(٣). وتأتي أهميةُ القولِ بالحذف في أنَّه " أحدُ المَطَالِبِ الاستعمالية ؛ فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المُكونة لهذا البناء ــ أو الجملة المكتوبة ــ وذلك لا يَتِمُّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد حذفها مُغْنِيًا في الدلالة كافيًا في أداء المعنى ، وقد يُحذفُ أحدُ العناصرِ ؛ لأن هناك قرائنُ معنوية أو مقالية تشير إليه(٤)" كما سبق أن ذكرنا ، ولذلك

---

(١) الأشباه والنظائر ، للسيوطي (٥٦/١) .

(٢) مغني اللبيب (٧٩٧/١) .

(٣) السابق (٢/ ٦٩٢) .

(٤) في بناء الجملة العربية ؛ لحماسة عبد اللطيف ، ط دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٢م ، (ص ٣٤٦) .

يقول **ابن جني**:"إنَّ العربَ إذا حذفت من الكلمة حرفًا ــ أو حذفت الكلمة كُلَّهَا ــ راعت حال ما بقى منه ، فإنْ كان مما تقبله أمثلتهم أقروه على صورته "([1]) ؛ لأن "حذف ما حُذِفَ من الكلمة يبقي منها بعده مثالاً مقبولاً ، لم يكن لك بدٌّ في الاعتزام عليه ، وإقراره على صورته تلك البتة"([2]) . ويرى المبرد أن "والحذف موجود في كل ما كثر استعمالهم إياه"([3]).وقد امتدح النحاةُ والعلماءُ الحذفَ في اللغة؛فهو عندهم "بابٌ دقيقُ المَسْلَك لطيفُ المأخذ،عجيبُ الأمر،شبيهٌ بالسِّحْر؛فإنَّك ترى أنَّ تَرْكَ الذِّكْرِ أفصحُ من الذكر،والصَّمْتَ عند الإفادةِ أزيدُ للإفادة،وتجد أنطق ما تكون إذا لم تنطق،وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"([4]).

* **أنْوَاعُ الحَذْفِ**([5]) : يكثرُ الحذفُ في اللُّغَةِ العربيةِ ، وهو أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَى في القرآن الكريم "وهو ينقسم قسمين **أحدهما** : حذف الجمل ، **والآخر** : حذف المفردات ، وقد يرد كلام في بعض المواضع ويكون مُشتملاً على القسمين معًا ، فأما القسم الأول وهو الذي تحذف منه الجمل فإنَّهُ ينقسمُ إلى قسمين أيضًا ؛ **أحدهما** :حذف

([1]) الخصائص (٣ /١١٥) .

([2]) السابق (٣/ ١١٣) .

([3]) المقتضب (١٤٦/٢) .

([4]) دلائل الإعجاز (ص١٤٦) ، وينظر : الخصائص (٤٣٢/٢) .

([5]) الأشباه (٥١/١ ، ٥٢) ، والمثل السائر ؛ لابن الأثير ، تح : بدوي طبانة و أحمد الحوفي ، ط نهضة مصر ، القاهرة ، (٢٣٢/٢) .

الجمل المفيدة التي تستقل بنفسها كلامًا ؛ وهذا أحسنُ المحـذوفاتِ جميعهـا وأدلُّهَا على الاختصارِ"([1]) ومن الحذف ما يلي :

ـ **حذف حرف من الكلمة** : لَمْ يَكُ ؛ أي : يكون ، ولم أَبْلُ ، ..الخ .

ـ **حذف الكلمة من الجملة** : ومنه قوله تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِـي كُنَّـا فِيهَا** ﴾ ([2]) .

ـ **حذف الجملة بأسرها** : قول الرسول الكريم : [**التمس ولو خاتمًـا مـن حديد**].

ـ **حذف أكثر من جملة** : والشواهدُ على ذلك كثيرةٌ ([3]) ؛ ولا داعي للإطالة والإطناب .

٢ـ الـزِّيـادة

الزيادة : مجيء كلمة في البنية السطحية للتركيب من دون أن يكون لها أثر في معنى البنية العميقة ولكن فائدتها في التركيب التوكيـل والـربط وتقوية المعنى ، ويسميه اللغويون الجدد (الزيادة والإقحام) ومن أنماطهـا عند النحاة العرب : **زيادة بعض حروف الجر** ، وعن ذلك يقول سـيبويه :" هذا باب ما يجري على الموضع لا على الاسم الذي قبله ؛ وذلك قولك : ليس زيد بجبان ولا بخيلاً ، وما زيد بأخيك ولا صاحبك" ([4]) ومنه **زيادة (كان)** في قول الشاعر :

فكيف إذا مررت بدار قومٍ وجيرانٍ لنا ـ كانوا ـ كرام

([1]) المثل السائر ، لابن الأثير (٢/٧٧) .

([2]) سورة يوسف ، الآية (٨٢) .

([3]) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة ؛ للقزويني ، تح : خفاجي ، ط٤ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٥م ، (١/١٧٧) .

([4]) ينظر : الكتاب (١/٦٦ـ٦٧) .

ومن ذلك زيادة **(اللام المزحلقة)** في قولنا : إن خالدًا لمؤدبٌ ، ويمكننا اعتبار **(ظاهرة الاعتراض)** في الدرس النحوي العربي من هذا القبيل ، كما يمكن ذلك مع **التوكيد اللفظي** في الدرس النحوي أيضًا ، **وظاهرة التكرار** ؛ كتكرار (إلا) أو (لا) النافية ، وكذلك ظاهرة (**تعدد النعت** ، **تعدد الخبر** ، تعدد **المفعول** ، **تعدد الحال)** ؛ ..الخ .

٣ــ التقديم والتأخير

وهو : نقل لفظ عن رتبته في نظام الجملة العربية ؛ فرتبة الفاعل قبل المفعول ، والمبتدأ قبل الخبر ، فإذا جاء الكلام على عكس ذلك ؛ قيل : إن فيه تقديمًا وتأخيرًا . وقد امتدح النحاة العرب هذه الظاهرة ومنهم عبد القاهر الجرجاني الذي يقول عن التقديم والتأخير :" هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، ولا يزال يفتر لك عن بديعه ، ويفضي بك إلى لطيفه ، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد أن الذي راقك ولطفه عندك أن قدم فيه شيئًا وحول اللفظ عن مكان إلى مكان([1]) ، ويقول سيبويه عن العرب :"إنهم يقدمون في كلامهم ما هم ببيانه أعنى ؛ وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم "([2]) . وقسم سيبويه التقديم قائلاً :" إما أن يقدم في الرتبة دون الحكم ؛ كتقدم المفعول به على فاعله ، وإما أن يقدم في الرتبة والحكم معًا ؛ كتقديم رتبة المفعول وحكمه في باب الاشتغال إذا ما ارتفع بالابتداء ؛ كما في قولهم : زيدٌ ضربته"([3]) .

([1]) ينظر : دلائل الإعجاز (ص٣٣) .

([2]) الكتاب (٢/٢١٢) .

([3]) الكتاب (١/٦٥) .

وقد درس النحاة العرب هذه الظاهرة وأوردوا لها الضوابط ؛ فالتقديم والتأخير لا يصلح في كل المواضع ؛ لأن الأصل عدم التقديم والتأخير([1]) ، فمثلاً "عوامل الأفعال لا يجوز فيها التقديم والتأخير ؛ لأنها لا تتصرف " ([2]) ،"وإنما يصلح التقديم والتأخير إذا كان الكلام موضحا"([3]).

٤ـ التَّضمين

* **التَّضْمِينُ في الاصْطِلاحِ** : للتضمين مجموعةٌ من التعريفات أهمها :" أنْ يُؤَدِّي (أوْ يُتَوَسَّعَ) في اسْتِعْمَالِ لَفْظٍ تَوَسُّعًا يجعله مُؤديًا مَعنى لفظٍ آخرَ مُنَاسِبٍ له ، فيُعْطَي الأولُ حُكْمَ الثَّاني في التَّعَدِّي واللُّزُوْمِ"([4]) ، وهو عند بعضهم :"إشْرَابُ لَفْظٍ مَعْنَي لَفْظٍ آخرَ وإعْطَاؤُهُ حُكْمَهُ لِتَصِيْرَ الكَلِمَةُ تُؤَدِّي مَعْنَى الكلمتين"([5]).و"إنَّ الغرضَ من التضمين إعطاءُ مجموعِ معنيين وذلك أقوى من إعطاءِ معنى واحدٍ"([6]).

وعن كيفية وقوع التضمين يحدثنا **ابن جني** حيث يقول : " اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرفٍ والآخر بحرفٍ آخر ؛ فإنَّ العرب قد تتوسع فتُوقع أحدَ الحرفين موقعَ صاحبه ، إيذانًا بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جِيءَ بالحرفِ المُعْتَادِ مع ما هو في معناه ؛ وذلك كقوله تعالي أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ

([1]) ينظر : مغني اللبيب (٥٧٩/١) ، والهمع (١١٣/٣) .

([2]) ينظر : المقتضب (١٠/٢) .

([3]) ينظر : الكتاب (٥٦/١) ، والمقتضب (٩٥/٣ ، ١١٨) .

([4]) ينظر : الخصائص (٣٠٨/٢ ، ٤٣٥) .

([5]) مغني اللبيب (٧٩١/٢) ، وينظر : حاشية الصبان ؛ ط الحلبي ، القاهرة ١٣٦٦هـ ، (٩٥/٢) .

([6]) الأشباه والنظائر (١/ ١٣) .

لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) ([1]) ، وأنت لا تقول (رفثت المرأة) ولكن تقول (رفثت بها أو مع ها) ، لكنَّه لمَّا كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي (أفضيت) بإلى ؛ كقولك : أفضيت إلي المرأة ؛ جئت بـ (إلي) مع الرفث إيذانا وإشعارًا أنه بمعناه ([2]) . وعن ذلك يقول **ابن الأنباري** :"لأنهم يجرون الشيء مجرى الشيء إذا شابهه"([3]) .

وقد امتدح **ابن جني** التضمين قائلاً :" وهذا من أسدّ وأدمث مذاهب العربية ، وذلك أنَّه موضعٌ يملك فيه المعنى عنانَ الكلام ، فأخذه إليه ويصرفه بحسب ما يؤثره عليه"([4]) . فمن المؤكد أن التضمين جاء لتحسين المعنى

والعناية به ، لأن التضمين في الدرس النحوي ما هو إلا دراسة في المعنى ، ويؤدي فيه المعنى دورًا بارزًا ؛ لأن الاعتماد علي اللفظ المنطوق ، فعن كثرة التضمين يقول **ابن جني** :"إنه وجد في اللغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا يخاطب به،ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا، وقد عرفت طريقه، فإذا مر بك فتقبله وأنس به، فإنَّه فصل في اللغة لطيف حسن يدعو إلي الأنس بها"([5]).

([1]) البقرة ، الآية (١٨٧) .

([2]) الخصائص (٣٠٨/٢) .

([3]) الإنصاف (١٦٦/١) .

([4]) المحتسب ؛ لابن جني ، تح : علي النجدي ناصف وآخرون ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦هـ ، (٥٢/١) ، وينظر : مغني اللبيب (٢/ ٦٠٩) .

([5]) الخصائص (٣١٠/٢) .

٥ ــ الاستغنـــاء

* **الاسْتِغْنَاءُ اصْطِـلاحًا** : :"هو استغناءُ العربِ بكلمةٍ عن كلمةٍ أو أكثـر ؛ عن طريقِ حَذْفِ بَعْضِهاَ أو تغيير صورتها ، أو الاستعانة بكلمة ليست مـن اشتقاقها ؛ لوجودِ قرينةٍ ، وذلك استحسانًا وطلبًا للخفَّة والاختصار،ولـضربٍ من البلاغة وتجويد المعنى" ، ومن ذلك ما ذكره **سيبويه** عن العرب في هذا الشأن :"ويستغنون بالشَّيءِ عنْ الشَّيءِ الذي أصله في كلامِهِـمْ أن يُـستعمل حتَّى يصيرَ ساقطًا(١)". ويقول **ابن الأنباري**:"قد يُستغنى بالحرفِ عن الحرفِ في بعضِ الأحوالِ إذا كان في معناه(٢)"، ويقول في موضعٍ آخر:"قد يُستغنى ببعض الألفاظ عن بعضٍ إذا كان في المذكور دلالـةٌ علـى المحـذوفِ"(٣) .ويقول **السيوطي**:"قد يستغنون بالشيء عمَّا هو في معناه "(٤) . وعن ذلـك يقول **ابن جني** :"لا يُنكرُ أنْ يكونَ في كلامِهِمْ ــ العـرب ــ أصـولٌ غيـرُ مَلْفُوظٍ بِهَا ، إلا أنَّهَا مع ذلك مُقَدَّرَةٌ ، وهذا واسعٌ في كلامهم(٥) " .

ويؤكد النحاة علي أن الاستغناء من صنع العرب وعن قصد منهم " لأنه لا يُستنكر الاعتداد بما لم يخرج إلي اللفظ ؛ لأن الدليل إذا قـام علي شيء في حكم الملفوظ به ، وإن لم يَجْرِ علي ألسنتهم استعماله (٦) " . ويقولُ **ابن جني** :"وذلك أنَّا نرى العرب قد غيرت شيئًا مـن كلامهـا مـن صورةٍ إلي صورةٍ ، فيجبُ حينئذٍ أن تتأتى لـذلك وتلاطفـه لا أن تخبطـه

---

(١) الكتاب (١/٢٥) ، (٢/١٢١) .

(٢) الإنصاف (٢/٤٨٥) ، مسألة (٦٨) .

(٣) الإنصاف (١/٩٣) ، مسألة (١٣) .

(٤) الأشباه والنظائر (١/٧٨) .

(٥) المنصف (١/٣٤٨) .

(٦) الخصائص (٢/٣٤٣) .

وتتعسّفَهُ([1])" ؛ أي : يُشترط في الاستغناء السهولة والملاطفة ، كما يُشترط أن يتوافق اللفظ (المستغنى به) مع أمثلتهم وصورهم كما كان المحذوف (المستغنى عنه) موافقًا . وعن ذلك يقول **ابن جني** :" العرب إذا غيَّرت كلمةً من صورةٍ إلي أخرى ، اختارت أن تكون الثانيةُ مُشَابِهَةً لأصول كلامهم ومُعْتَاد أمثلتهم ، وذلك أنَّكَ تحتاجُ إلي أنْ تُنيْبَ شيئًا عن شيء ؛ فأولى أحوالِ الثاني بالصواب أن يُشابهَ الأولَ ؛ ومن مُشابهته له أنْ يُوَافِقَ أمثلةَ القومِ ، كما كان المُناب عنه مثالاً من مُثلهم أيضًا([2])".

ويُشْتَرَطُ أنْ لا يكون الاستغناء دون سببٍ أو دافعٍ أو دون أن يهدفَ إلي شيءٍ يخدمُ اللغةَ ،

و إلا كان ضربًا من الإفساد اللغوي والفوضى التي لا تقبلها اللغة العربية ، كما يُؤكد النحاة علي تعمُّد العرب إحداث هذا الاستغناء .ويُشترط أن يكون الكلام بعد الاستغناء وقبله جيدًا،ولكن بعده أجود وأبلغ،وهذا ما يقصده **سيبويه** بقوله :"لو حَسُنَ الكلام بالذي لا يستغنى عنه لحَسُنَ الذي يستغنى عنه ([3]) "؛ أي : إنَّ العرب قد انتقلت بالاستغناء من كلام فصيح إلي كلام أفصح وأبلغ وأجود ، بل أكثر قدرةً علي إيصال المعنى وتجويده ويلاحظ أن النحاة قصدوا الاستغناء والحذف، وعلى هذا فالاستغناء يعدُّ وسيلة من التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية .

([1]) السابق (٢/ ٤٧٠) .

([2]) الخصائص (٢/ ٦٦ ــ ٦٧) .

([3]) الكتاب (٢/ ٢٨١) .

٦ــ الاختصار والإيجــاز

* **الإيْجَــازُ فِي الاصْطِــلاحِ** :"**هــو الجَمْــعُ للمعاني الكثيــرة بالألْفَــاظ القَلِيلَة**(١)"، وقيل :" **الإيجازُ دلالةُ اللَّفْظ عَلَى المَعْنَى مــنْ غَيْــرِ أَنْ يَزِيْــدَ عَلَيْه**(٢)". وهو يُشبه كثيرًا تعريفَ الاختصارِ كما مرَّ ، ولذلك يربطُ جمهورُ العلماءِ وبخاصةٍ علماءَ البلاغةِ بين الاختصارِ والإيجازِ ، ويعُدُّونهما وجهين لعملةٍ واحدةٍ ، فالإيجــازُ والاختصارُ عندهم مــصطلحان لظــاهرةٍ لُغَوِيَّــةٍ واحدةٍ ، وقد اهتمَّ البلاغيون العرب بدراسةِ ظاهرة الإيجــاز فــي اللغــة العربية ، وقد ربط كثيرٌ من العلماء بين الإيجاز والاختصار فــي أبحــاثهم حتى قيل : الإيجازُ والاختصارُ بمعنى واحدٍ كما يُؤخــذُ من المفتاح وصَرَّحَ به **الطيبي** . ويُعَبِّرُ عن هذا التوجه أيضًا **صاحب خزانة الأدب** حيث يقول :" الإيجازُ اعتنت به فصحاءُ العربِ وبلغاؤها كثيرًا ، فَإِنَّهُمْ كانوا إذا قــصدوا الإيجاز أتوا بألفاظ استغنوا بواحدها عن ألفاظٍ كثيرةٍ ؛ كــأدوات الاســتفهام والشروط وغير ذلك ، فقولك : أين زيد ؟ مُغْنٍ عن قولك : أزيدٌ في الدَّارِ أم في المسجد؟ إلى أن تستقري جميع الأماكن، وقولك : مَنْ يَقُمْ أَقُمْ مَعَهُ ؛ مُغْنٍ عن : إنْ يَقُمْ زَيْدٌ أو عمرو أقم معه ، وما بالدار من أحدٍ ؛ مُغْنٍ عن قولك : ليس فيها زيدٌ ولا عمرو ، فغالبُ كــلامِ العَــرَبِ مَبْنِــيٌّ عَلَــى الإِيْجَــازِ والاخْتِصَارِ ، وأداءِ المَقْصُودِ مِنْ الكلامِ بأقلِّ عبارةٍ ، وهــذا النــوع علــى ضربين : إيجازُ قَصْرٍ وإيجازُ حَذْفٍ ، فإيجازُ القَصْرِ: اختصارُ الألفــاظِ ، وهو كقوله ﷻ ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُــمْ تَتَّقُــونَ**﴾ (٣) فهذا اللَّفْظُ الوَجِيْزُ المُعْجِزُ المُخْتَصَرُ غَــايَــةٌ في الإيجازِ"(١).

---

(١) الحيوان ؛ للجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، ط الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، (٨٦/٢) .

(٢) المثل السائر (٢٣٢/٢) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٧٩) .

وغلب مصطلح الإيجاز في كلام البلاغيين ، وغلب مصطلح الاختصار في كلام النُّحَاةِ . وجماعة من العلماء فرّقوا بينهما — الإيجاز والاختصار— وفي هذا الشأن قال **ابن سيده** : بين الإيجاز والاختصار فرق مَنْطِقِيٌّ ؛ ولذلك قال بعضهم :"الاختصار خاصٌّ بحذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز" (٢) ، فالإيجاز : تجريد المعنى من غير رعاية للفظ الأصل بلفظ يسير ، و **الاختصار** : تجريد اللفظ اليسير من اللفظ الكثير مع بقاء المعنى (٣).

٧ــ الاتّساع

وهو يعني :"المُرُونَةُ في اللَّفْظِ ومُرَاعَاةُ مُقْتَضَيَاتِ السِّيَاقِ في التَّرْكِيْبِ والعَلاقَاتِ النَّحْوِيَّةِ(٤)" ؛ وذلك لأنَّ "الشَّيْءَ قَدْ يَكُوْنُ له أصلٌ ثُمَّ يُتَّسَعُ فيه ؛أي:بخروجه عن هذا الأصل(٥)". ويرى النُّحَاةُ أنَّ "**الاتِّسَاعَ ضَرْبٌ من الحذف** ، إلا أنَّ الفرق بينهما أنَّك لا تُقِيْمُ المُتَوَسَّعَ فيه مَقَامَ المَحْذُوْفِ وتُعْرِبُهُ بإعرابه ، وفي الحذف تحذف العامل فيه وتَدَعُ ما عَمَلَ فيه على حَالِهِ في الإعرابِ ، والاتِّسَاعُ العامل فيه بحاله ، وإنَّمَا تُقيم فيه مقام المضاف إليه مقام المضاف ، أو الظرف مقام الاسم ، فالأول نحو : قوله تعالى ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**

---

(١) ينظر : خزانة الأدب للبغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٩م ، (٢٧٤/٢) .

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت ، (ص٥٦) .

(٣) موصل الإعراب (١٦١/١) .

(٤) ينظر: الاتساع في الدراسات النحوية ، لأحمد عطية المحمودي ، ماجستير ، دار علوم القاهرة ١٩٨٩م ، (ص ١٨) .

(٥) الأشباه والنظائر (٣٥/١) .

الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[يوسف:٨٢] ، والمعني :أهل القرية، والثاني نحو : صيد عليه يومان ، والمعني : صيد عليه الوحش في يومين"([1]).

ويؤكد النحاة علي كثرة الاتساع عند العرب فـ"الاتساع في كلامهم أكثر من أن يحاط به"([2])، وقد اهتمَّ النُّحَاةُ بهذه الظاهرة لَدَي العربِ ، فقد عَقَدَ **سيبويه** في كتابه بابًا سمَّاهُ : " بابُ استعمالِ الفعلِ في اللفظِ لا في المعنى لاتِّسَاعِهِمْ **في** الكلامِ والإيجاز والاختصار([3]) " ، ويُشترط أن " يأتي الاتِّسَاعُ علي سَعَةِ الكلامِ والإيجاز لعلم المُخَاطَبِ بالمعنى ([4]) " ، أي : " يُشْتَرَطُ أنْ يكونَ المُخَاطَبُ فاهمًا للمعنى ، ولا يَفْهَمُ المُخَاطَبُ ذلك إلا إذا كان هذا التَّجَوُّزُ أو كثر الاختيار من العُرْفِ اللُّغَوِيِّ ؛ أي : من سليقة المُتَكَلِّمِ والمُسْتَمِعِ معًا وكفاية كل منهما اللغوية ، وهذا هو الجانبُ الإبداعيُّ في اللُّغَةِ([5])" .**وخُلاصَةُ القَوْلِ** : أنَّهُ "متى وُجِدَتْ الإفادةُ يُمْكِنُ أَنْ يُوْجَدَ التَّسَامُحُ أَوْ التَّرَخُّصُ أَوْ الاتِّسَاعُ اللُّغَوِيُّ"([6]). وعن الاتساع يقول ابن جني :" وكذلك قوله سبحانه (واسأل القرية التي كنا فيها) فيه المعاني الثلاثة :أمَّا الاتساع ؛ فلأنه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله ، وهذا نحو : ما مضى ألا تراك تقول : وكم من قرية مسئولة ، وتقول القرى وتسآلك ؛ كقولك : أنت وشأنك ، فهذا ونحوه اتساع"([7]) .

([1]) الأصول لابن السراج (٢/٢٠٥) ، والأشباه للسيوطي (١/ ٣٥) .

([2]) الأشباه والنظائر (١/٣٥) .

([3]) الكتاب لسيبويه (١/١٠٨) ، وينظر : شرح المفصل ؛ لابن يعيش ، ط مكتبة المتنبي ، القاهرة (٥/٨١) .

([4]) الكتاب لسيبويه (١/١٠٩) .

([5]) النحو والدلالة ؛ لحماسة عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٣م ، (ص ٨٦) .

([6]) حاشية الخضري (١/٩٧) ، ط المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٢٩ م .

([7]) الخصائص (٢/٤٤٧) .

٨ــ بناء الفعــل للمفعــول

(وقد تحدثنا عنه عند الحديث عن شواهد الاهتمام بالبنية العميقة وأمثلتهـا في المفردات والجمل والتراكيب)

٩ــ العَــدْل

وهو : تحويل الاسم من حالة إلى حالة أخرى مع بقاء المعنــى الأصــلي ، وهو على ضربين : واقع في المعارف ، وواقع في الصفات ، فالواقع فــي المعارف: يأتي على وزنين ؛ أحدهما : (فُعَلْ) وذلك في المذكر وعدله عــن (فاعل) ؛ كعمر وزفر وزحل وجمع ، والثاني : (فعال) وذلك فــي المؤنــث وعدله عن (فاعلة) ؛ نحو : حذام وقطام ورقاش ، وذلك في لغة تميم خاصة" ([1]) .

خامسًا : أسباب دراسة البنية العميقة ؛ ونتائج ذلك :

أولاً : أَسْبَابُ اهْتِمَامِ النُّحَــاةِ بِالبِنْيَــةِ العَمِيْقَــةِ

١ــ عِنَايَةُ النُّحَــاةِ بِتَطْبِيقِ قَــوَاعِــدِهِم

لقد بذل النحاة العرب جهودًا جبارة مشكورة لوضع قواعــد النحــو العربي ، ويقول ابن مضاء الذي اشتهر بعدائه الشديد لبعض الأمــور فــي منهج النحاة :" إني رأيت النحويين رحمة الله عليهم ، قد وضــعوا صــناعة النحو لحفظ الكلام- كلام العرب - من اللحن ، وصيانته من التغيير، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أموا ، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا". [2] ويقول المستشرق الألماني يوهان فك :" ولقد تكفلت القواعد التي وضــعها النحــاة العرب في جهد لا يعرف الكلل ، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغــة

([1]) ينظر : شرح قطر الندى (٣١٤/١) .

([2]) الرد على النحاة ؛ لابن مضاء ، تح : شوقي ضيف ، ط٣ دار المعارف ، القاهرة ، (ص٨٠) .

الفصحى وتطويرها في جميع مظاهرها من ناحيـــة الأصـــوات والـــصِّيَغ ، وتركيب الجمل ومعاني المفردات على صورة شاملة ؛ حتَّى بلغـــت كتـــب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمـــستزيد " [١] ، ولقد كانت " صناعة النحو تستخرج القواعد من المسموع ؛ وهو بعض اللغة لا كلها ، ثم يقوم النحاة بإطراد هذه القواعد على ما لم يُسمع ؛ وذلك بواسطة القياس"[٢] .

وبعد أن أتم النحاة العرب وضع قواعد النحو العربي "فرضوها على الفصحاء العرب ، وفرضوها على الفحول من الشعراء ، ثم فرضوها فـــي آخر الأمر على أصحاب القراءات". [٣] وذلك لأن النحاة " جعلوا هذه القواعد – أحكاما – فكانت في نظرهم أولى بالاعتبار ممَّا خالفها مـــن المـــسموع ، ومن ثَمَّ أعملوا فيما خالف قواعدهم حيل التخرج والتأويل والتعليل" .[٤] وقد " يصل الأمر بهم أن يفترضوا وجود تراكيب لا وجود لها فعـــلا ، ولكنـــه – النحوى– مدفوع إلى افتراضهم بحكم التزامه للقواعد النحويـــة ، أو بعبـــارة أخرى أن النحو لا يعيد صياغة النص الموجود فعلاً إذ هو يخلق نصوص لا وجود لها ..!!" [٥] ، وهو ما نسميه البنية العميقة .

([١]) العربية ؛ ليوهان فك ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط دار الكتاب العربي ، القـــاهرة ١٩٥١م ،(ص٢) .

([٢]) الأصول ؛ لتمام حسان ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢م ، (ص٢٧٣) .

([٣]) من أسرار اللغة ، لإبراهيم أنيس ، ط ٤ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، (ص٢٠٩) .

([٤]) ينظر : اللغة العربية مبناها ومعناها لتمام حسان ، ط الهيئة المصرية للكتاب ، القـــاهرة ١٩٧٣م ، (ص١٣).

([٥]) الحذف والتقدير ؛ لعلي أبو المكارم (ص٢٠١) .

ولقد كان النحو في بدايته عملية تقوم " في مبتدئها على الاستقراء والتقعيد ، فأصبحت بعد زمن تقوم على القاعدة والتطبيق ، وخلف بعد الرعيل الأول من رجالها خلف وقفوا من النحو موقف المتكلمين من الدين، كان الدين سمحا فطريا فجعله المتكلمون فلسفة وقضايا منطقية ، وكان النحو سهلاً هينًا وصفيًا، فجعله النحاة فلسفةً وقضايا معيارية ومنطقية أيضًا ، حتى أصبح الطابع المُميِّز للنحو العربي أنه يُعدُّ مجهودًا دراسيًا لغويًا ؛ بقدر ما تحول إلى مجهود فكرى من الطراز الأول"[1]. وأصبحت ظاهرة " طرد الأحكام هي إحدى الظواهر الواضحة فى البحث الفلسفى ــ والنحوي ــ ، إذ أن غاية الفيلسوف هي اتخاذ مواقف محددة وشاملة من مشكلات الفكر والواقع معًا" [2]. وعليه فإن" تحليل الأحكام النحوية .. يكشف عن تأثر النحاة في أحكامهم التقعيدية والتعليلية معًا بخصائص الحكم الفلسفي ، وبصفة خاصة بما يميز هذا الحكم من طرد الأحكام الممتدة من بعض الظواهر إلى ظواهر أخرى ، واكتفاء بنوع من الاتساق النظري بينهما لا يعتمد على ركائز يقينية ، وإنما تشيده التصورات الذهنية وحدها ، بصرف النظر عن الوجود الواقعى" [3]. وهو ما نسميه البنية السطحية والبنية العميقة .

٢ــ عِنَايَةُ النُّحَاةِ بِالمَعْنَى

قد اهتمَّ النحاة بصورة جلية بالمعنى ، ولقد كان العرب ولا يزالون يهتمون بالمعنى ، وفي هذا الشأن يقول ابن جني :" إن العرب كانت كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها ، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية ؛ لتمام حسان ، ط مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٨م ، (ص١٧٠) .

(٢) مناهج البحث عند النحاة ؛ لعلي أبو المكارم ، رسالة دكتوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٦٧م (ص ٦٠٨) .

(٣) السابق (ص٦٠٩) .

وبالخطب تارة أخرى وبالأسجاع التي تلزمها وتتكلف استمرارها ، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها " (١) ، فالمعنى هو الذي جعل العرب " تحمل على ألفاظها لمعانيها حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى " (٢) ، ويؤكد ابن جني على ذلك قائلاً :" رأيت غلبة المعنى للفظ وكون اللفظ خادمًا للمعنى ، مشيدًا به ، وأنه إنما جيء به له ومن أجله"(٣) . ولقد فطن النحاة إلى هذا الأمر فالنحو " ليس مجرد قاعدة تطبق ، بل بحثٌ في معاني التراكيب وأسرار حسنها وقوتها ، وإن كان النحو ينطلق من المباني للوصول إلى المعاني"(٤)، ولذلك فالنحاة "دائمًا يسألون حول الوظيفة والمعنى والغرض وفاعلية التركيب في التعبير عن المعنى"(٥) .

وعند دراسة النحاة للجملة العربية يرون أن"كل جملة صحيحة نحوية تُعد جملة مستقيمة، ولكن الحكم على هذه الاستقامة بالحسن والكذب يتعلق بالمعنى الذي تفيده عناصر الجملة عندما تترابط نحويًا"(٦)، فالأصل أن:"يوضع الكلام للفائدة ، فإذا لم تتحقق الفائدة والمعنى فلا جملة"(٧). والذي جعل النحاة يهتمون بالبنية العميقة للمفردات والتراكيب ــ كما ذكرنا ــ أن " الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو

---

(١) الخصائص (٢٣٧/١) .

(٢) السابق (٢١١/٢) .

(٣) الخصائص (٢٣٧/١) .

(٤) الأصول ؛ لتمام حسان (ص٣٤٩) .

(٥) علم اللغة ؛ لفهمي حجازي ، ط دار غريب ، القاهرة ١٩٧٣م ، (ص٤٤) .

(٦) النحو والدلالة ؛ لحماسة عبد اللطيف (ص٦٣) .

(٧) الأصول ؛ لابن السراج (٦٣/١) .

ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ"([1]) ، وبالنسبة للجملة فإنه يُعتبر المعنى قطبًا مهمًا في دراسة الجملة ، وبما أن المعنى كامنٌ في البنية العميقة ومرتبطٌ بها ارتباطًا وثيقًا ؛ قام النحاة واعتنوا بدراسة البنية العميقة ومحاولة معرفتها .

٣- غِيَابُ المَقَامِ الذي قِيلَ فِيْهِ الكَلامُ

كما ذكرنا أن اللغة كانت منطوقة لفترات طويلة قبل الشروع في تدوينها بصورة منظمة وملموسة وإبان عملية تدوين النصوص بالطبع غاب عن اللغويين والنحاة المقام الذي قيل فيه الكلام وموقف المتكلم والمستمع وهيئتهما وحركتهما...الخ، فلمَّا حدث أن بعض هذه التراكيب داخل النصوص تعارض القواعد النحوية لجأ النحاة إلى التوفيق بين التركيب وقواعدهم النحوية " فالتأويل والتقدير والحذف والاستتار نتيجة واضحة من نتائج إهمال العنصر الاجتماعي في اللغة ، وسلخ اللغة من الموقف الذى تقوم فيه الحركة والإشارة والنظرة ، والانفعال والهدوء ، وتغير الوجه، والنبر والتنغيم ، وتضافر القرائن، وغير ذلك من ملابسات الحديث اللغوي بما لا يقوم به الكلام نفسه فى الفهم والإفهام ، وقد اعتمد النحاة على التأويل والتقدير في محاولة منهم لإكمال النص ذهنياً بعد فقدان العنصر الاجتماعي الذي لا يفصل الحدث اللغوي عن موقفه"([2]).

هذا وقد تناول ابن جني هذه المسألة قائلاً "قليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبى اسحق ويونس وعيسى بن عمر،والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعي،ومن في الطبقة والوقت من

([1]) دلائل الإعجاز (ص٣٨) .

([2]) الضرورة الشعرية ؛ لمحمد حماسة عبد اللطيف ، ط مكتبة دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٩م ، (ص١١٤) .

علماء البلدين وجوه العرب فيما كانت تتعاطاه من كلامها، وتقصد لـه مـن أغراضها،ألا تستفيد بتلـك المـشاهدة وذلـك الحـضور مـا لا تؤديـه الحكايات،ولا تضبطه الروايات،فتضطر إلى مقصود العرب،وغوامض ما في أنفسها،حتى لو حلف منهم حالف على شيء دلته عليه إشارة لا عبارة،لكـان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه"[1].

٤ – التَّعَـدُّدُ اللَّهَجِـى دَاخِـلُ بُنْيَـانِ اللُّغَـةِ

لقد تعددت اللجهات العربية تبعا لتعدد قبائل العرب وكان طبيعيًا أن يجد النحاة والعلماء ما من شأنه أن يدعوهم إلى إعمال فكرهم واللجوء إلـى التأويل والتوهم وغير ذلك " فلقد كانت كل قبيلة عربية تتكلم لهجتها الخاصة بها حين يعالج الفرد شئون البيئة اليومية فى حدود قبيلته ، ثم تتكلم القبيلة بعد ذلك لهجتها من اللغة المشتركة بين العرب جميعاً وهى الفصحى فى التخاطب مع القبائل الأخرى وحين التأنق الأدبى "[2].ومن الجدير بالذكر هنا أن سيبويه حين حمل (إلا) على معنى(لكن) لا لشئ إلا لصحة المعنى، وقد جاء ذلك في باب ترجم له بقوله :" هذا باب يختار فيه النصب ؛ لأن الآخر ليس من نوع الأول " [3] . وقال :" وهو لغة أهل الحجاز ؛ وذلك مثل قولك : ما فيها أحـد إلا حماراً ، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه مـن نوعـه ، فحمل على معنى (ولكن) ، وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين فـى الـدرهم" [4]... ؛ ولذلك اختلف النحاة حول تقدير البنية العميقة ، وكذلك اختلفوا حول عمل بعض المفردات داخل البنية السطحية وإعرابها ، .... الخ .

---

(1) الخصائص ٢٤٨/١ .

(2) منهج البحث في اللغة ؛ لتمام حسان ، ط الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٥م ، (ص٤٠) .

(3) الكتاب ؛ لسيبويه (٣١٩/٢) .

(4) السابق ، الصفحة نفسها .

٥- وجـود مراحـل تطورية للغة العربية

ومن المعروف أن اللغة قد مرت بمراحل تطورية كثيرة أثر ذلك فى حياة مفرادتها وبنيتها وتراكيبها " وأغلب الظن أن كثيراً مما نجده فى بطون الكتب القديمة وفى ثنايا النصوص من أمثلة نحوية وشواهد أدبية خارجة عن تلك القواعد التى وضعها النحاة ثم التمسوا لها تخريجاً ما هو إلا بقايـا مـن اللغة العربية فى مراحلها الأولى قبل أن تتضح" [١] ، وأثناء مراحل تطـور اللغة حدث للغة العربية مجموعة من الظواهر ؛ كالقلب المكاني ، والحـذف والزيادة والإلحاق ، والتقديم والتأخير ، ... الخ .

.... وبعد فلقد كانت الأسباب السابقة وغيرها أسبابًا دفعت النحاة إلى دراسة البنية العميقة والعناية بها ؛ ومحاولة تحديدها ، كـلٌّ حـسب فكـره وطاقته ومذهبه اللغوي .

ثانيًا : نتائـج الاهتمام بالبنيـة العميقـة

(١) ظاهرةُ اللُّجُـوءِ إلى التَّأويـلِ

التأويل فى الاصطلاح: هو " صرف الكلام عن ظاهره إلى وجـوه خفيه لتقدير وتدبر، وأن النحاة قد أولوا الكلام وصرفوه عن ظاهره ؛ لكـى يوافق قوانين النحو وأحكامه" [٢] ، والتأويل كثير فى ثنايا اللغة ، ولذلك قال سيبويه :" وليس شئ مما يضطرون إليه إلا وهـم يحاولون بـه وجهـاً"[٣]. فالتأويل أيضًا " هو محاولة إرجاع النصوص التى لم تتوفر فيهـا شـروط الصحة نحوياً إلى مواقف تتسم بالسلامة النحوية ، أو بتعبير آخر هو : صب

---

(١) البحث اللغوي عند العرب ؛ لأحمد مختار عمر ، ط ٦ عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨م ، (ص٦٤)

(٢) أصول النحو ؛ لمحمد عيد ، ط عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٢م ، (ص١٨٥) .

(٣) الكتاب ؛ لسيبويه (٣٢/١) .

ظواهر اللغة المنافية للقواعد فى قوالب هذه القواعد" [١] .وإن ظاهرة التأويل تشيع فى مؤلفات النحو المختلفة فهى " تدور فى فلك حمل النص على ظاهره لتصحيح المعنى أو الأصل النحوى"[٢] . ويمتدح الأستاذ على النجدى ناصف التأويل ومظاهره من حذف وتقدير وخلافه ، ودافع عنه دفاعاً شديداً ويرى أنَّ " حقيقة التأويل والتقدير، وهذا عملها فى النص ومكانهما منه ، ضرورة استوجبتها سماحة اللغة وحسن مطاوعتها ، ولا حيلة لأحد فى دفعها ما بقيت اللغة على ما خلقها الله محتفظة بسمتها الأصيل وخصائصها المتميزة " [٣] ، ويلجأ النحاة إلى التأويل الذي صنعته أذهانهم وأفرزته قرائحهم "إذا كانت الجادة على شيء ، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول ، أما إذا كانت لغة طائفة من العرب لم تتكلم إلا بها فلا تأويل" [٤] ، والمقصود بالجادة هنا" قواعد النحاة وليس النطق العربى"[٥] ؛ يعنى ذلك أن النحاة " قد أوّلوا الكلام وحرّفوه عن ظاهره ؛ كي يوافق قوانين النحو وأحكامه" [٦]. ويرى د. تمام حسان أنَّ " التأويل لم يكن إلا لأمرين لا ثالث لهما ، وهما : **الأول** : عدم صدق القاعدة على بعض ما سمع . **والثاني** : حرص النحاة على تفسير كل ما سمع فى ضوء الأصول والقواعد"[٧]. وفي دعوة إلى عدم التطرف

---

(١) الحذف والتقدير ؛ لعلي أبو المكارم (ص٢٠٠) .

(٢) التأويل النحوي في القرآن ؛ لعبد الفتاح أحمد الحموز ،دكتوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٨١م ،(١٠/١) .

(٣) من قضايا اللغة والنحو ؛ لعلي النجدي ناصف ، ط مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٧م ، (ص٨٨) .

(٤) الاقتراح ؛ للسيوطي ، ط دار المعارف النظامية ، حيدر أباد ، (ص٧٥ ، ٢٩) .

(٥) أصول النحو العربى ؛ لمحمد عيد (ص١٨٥) .

(٦) السابق ، الصفحة نفسها .

(٧) الأصول ؛ لتمام حسان (ص١٦٠) .

والإفراط في التأويل يقول أبو حيان :أنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره ؛ كان أولى من حمله على ما يشمل الفعل أو على ما يخالف الظاهر جمله" [1] ، ويرى د. محمد عيد " أن التأويل ... يقلب الحقائق ويباين التفكير العلمي السليم ؛ لأن العناية بالأمثلة فيه ليست لدراستها ، وبيان نواحيها ، والوصول إلى القاعدة عن طريقها ، بل انقلبت إلى نوع من التمرين ؛ لتأويل ما أشكل على القاعدة... وطابع الدراسة اللغوية في القرن العشرين خاصة لم يعد يُعنى بغير المادة اللغوية أساساً للوصف ، وأما التأويل فإنه يباين ذلك تماماً ؛ لأن مضمونه البحث عن الباطن خلف الظاهر" [2] ، وهذا ما اشتغلت به المدرسة التحويلية التوليدية في النصف الثاني من القرن العشرين ؛ لدى تشومسكي وتلاميذه .

(٢) ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية

لقد نتج عن اهتمام النحاة بدراسة البنية العميقة ــ وأسباب أخرى ــ تعدد أوجه الإعراب للكلمة الواحدة أو الجملة ، فتبعًا لتقدير البنية العميقة يتعدد المعنى ويتعدد الإعراب ، ولقد كانت ظاهرة " تعدد الآراء النحوية في المسألة الواحدة واختلاف الأحكام فيها حتى يستطيع الباحث أن يرى الرأي ؛ فيقول وهو آمن أن هناك رأيًا أخر – بل آراء – من غير أن يُكلِّف نفسه مشقَّة الإطلاع والجري وراء هذا النقيض".[3] ولا داعي للإطالة ؛ فهذه الظاهرة مشهورة .[4]

---

(1) البحر المحيط ؛ لأبي حيان ، ط٢ دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، (٢/٣٠٧،٢٥٨) .

(2) أصول النحو العربي لمحمد عيد (ص٢١٣) .

(3) اللغة والنحو بين القديم والحديث ؛ لعباس حسن ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م ، (ص٦٦)

(4) ينظر التفاصيل : تعدد التوجيه الإعرابي ؛ لمحمد حسنين صبره ، دكتوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٧م .

(٣) ظاهرة الحمل على المعنى (التَّوهم) واللجوء إلى الافتراض

الحَمْلُ عَلَى المَعْنَى : هو" أنْ يُعطي الشيءُ حكمَ ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما "([1]) ، أو هو "حملُ اللفظِ علي معني لفظٍ آخرَ أو تركيب علي معني علي معني آخر ؛ لشبه بين اللفظيين والتركيبين في المعني المجازي ، فيأخذان حكمهما النحويِّ مع ضرورةِ وجودِ قرينةٍ لفظيَّةٍ أو معنويَّةٍ ، تدلُّ علي مُلاحظةِ اللَّفْظِ أو التركيبِ الآخرين ويُؤْمَنُ معها اللبس"([2]) . أمَّا **الحمل على التوهم** فهو " تفسير تخيلي يضطر إليه النحاة والصرفيون ؛ وذلك عن طريق الاستعانة بالمعنى في محاولة للتوفيق ؛ وتحقيق الانسجام بين ما قد يُظنُّ من خطأ في إعراب ألفاظ بعض التراكيب العربية الفصيحة ؛ والتي لا ريب في صحتها ، وبين القواعد النحوية والصرفية ، ومحاولة تفسير مجيئها على هذا النظم " ([3]).

فمن الواضح أن الحمل علي المعني يتم بين لفظين بينهما تشابه فنحمل معني الثاني ــ مثلاً ــ علي الأول ؛ وذلك لوجود قرينة ، وذلك "لأنهم يُجرون الشيء مجرى الشيء إذا شابهه"([4]) ، ويلاحظ أيضًا أن كلا اللفظين موجود في الاستعمال اللغوي ، وذلك لأنَّ "حمل الشيء في بعض أحكامه لا يُخرجه عن أصله"([5])، ولأنَّ العرب "كانت تُعنى بألفاظها فتُصلحها وتُهذبها وتُراعيها ، وتُلاحظ أحكامها بالشِّعْرِ تارةً وبالخُطَبِ تارةً أُخْرَى ، بالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها ، فإنَّ المعاني أقوى عندها

([1]) مغني اللبيب (٦٧٤/٢) .

([2]) ظاهرة الحمل علي المعني ؛ لأشرف مبروك ، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٨٩م ، (ص٦)

([3]) التوهم عند النحاة ؛ لعبد الله جاد الكريم ، ط مكتبة الآداب ، القاهرة ٢٠٠١ هـ ، (ص٣٠) .

([4])الإنصاف (١٦٦/١) .

([5]) السابق (١٤٢/١) .

وأكرم عليها ، وأفخم قدرًا في نفوسها"([1]) ، فكان العرب يحملون على المعنى أو يستغنون عن بعض الألفاظ ببعض ؛ لهدف الوصول إلي سلامة التركيب وتجويد المعنى ؛ وذلك لأنَّ "كُلَّ جملة صحيحة نحويًا تُعَدُّ جملة مستقيمة ، ولكنَّ الحكمَ على هذه الاستقامةِ بالحُسْنِ والكذب يتعلق بالمعني الذي تُفيده عناصر الجملة عندما تترابط".([2]) ولكي يتضح لنا الأمر نسوق هذا المثال الذي يقول فيه سيبويه حين حُملت (إلا) على معنى (لكن) لا لشيء إلا لصحة المعنى ، وكان ذلك في باب يقول فيه :"هذا باب يُختار فيه النصب؛ لأن الآخر ليس من النوع الأول" ؛ ويقول :"وهو لغة أهل الحجاز ؛ وذلك مثل قولك :ما فيها أحدٌ إلا حمارًا ، وكرهوا أن يُبدلوا الآخر من الأول فيصير كأنه من نوعه ؛ فحمل على معنى (ولكن)([3]) "وفي الاختصار يقول :"يستغنى العرب بقولهم (إلا) عن الفعل (أدعو) أو الفعل (أُنادي)([4])". وفي هذا الشأن يقول **ابن الأنباري** :"هو أكثر من أنْ يُحصى"([5]) . والمعنى مرتبط بالبنية العميقة ، فالحمل على المعنى (التوهم) والافتراض وغير ذلك مرتبط بها أيضًا .

(٤) ظاهرة القول بالأصل والفرع

ومن النتائج المهمة التي نتجت عن بحث النحاة عن البنية العميقة هو **القول بالأصل والفرع** فى اللغة العربية. فالنحاة عندما يقولون : كذا كان في

([1]) الخصائص (٢٣٧/١) .

([2]) النحو والدلالة ؛ لحماسة عبد اللطيف ، (ص٦٣) .

([3]) الكتاب (٣١٩/٢) .

([4]) الكتاب (٣١٩/٢) وينظر : الأشباه (٧٧،٧٨/١) ، وشرح المفصل (١٢٧/١) ، (٤٠/٢) .

([5]) الإنصاف (٧٧٧/٢) .

الأصل كذا ، أما كذا فهو فرع عليه..الخ، ونظرية الأصل والفرع والقول بالعامل وفلسفة العمل تمثلان عماد المنهج النحوي

عند النحاة ، وعليهما تدور جلُّ مسائل النحو . وبعد فنظرية الأصل والفرع تتلخص في أنها "مجموعة من الضوابط -والقواعد- التي وضعها النحاة ؛ ليلتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية ــ سماعاً كانت أم قياسًا أم استصحابًا ــ التي تستعمل لاستنباط الحكم" [1]، ومن أمثلة هذه الضوابط التي قال بها النحاة :

- لا يسوى بين الأصل والفرع [2]. الفروع تنحط دائماً عن درجة الأصول [3] .

- يجوز أن يثبت للأصل مالا يثبت للفرع[4]. الفرع دائماً أضعف من الأصل [5] .

- الفرع لابد أن يكون فيه الأصل[6]. قد يستعمل الفرع وإن لم يستعمل الأصل، ثم لا يخرج الأصل بذلك عن كونه أصلا ولا الفرع عن كونه فرعًا[7] .الأصل يتصرف ما لا يتصرف الفرع[8] . وتقدير الأصل أولى من

---

(1) الأصول ؛ لتمام حسان (ص٢٠٩) .

(2) الإنصاف ٦٠/١ مسألة (٨) ، ٢٢٩/١ مسألة (٢٧) .

(3) السابق ، (١٧٦/١) مسألة (٢٢) ، و (٢٢٩/١) مسألة (٢٧) .

(4) السابق ١٥٥/١ مسألة (١٦) .

(5) السابق ١٧٦/١ مسألة (٢٢) .

(6) السابق ٢٣٨/١ مسألة (٢٨) .

(7) السابق ٢٤١/١ مسألة (٢٨) .

(8) السابق ٦١٧/٢ مسألة (٨٨) .

تقدير الفرع[1].الفروع هى المحتاجة إلى العلامات والأصول لا تحتاج إلى علامة[2] .

ومن ذلك ما نسبه النحاة للعرب من أنهم حملوا المذكر (الأصل) على المؤنث (الفرع) والعكس)[3] .ومنه قولهم :" المفرد أصل والثمنى والجمع فرعان"[4] كل ذلك كان له ظلال جلية أثرت إلى أبعد مدى فى توجيه النحاة والصرفيين للتراكيب النحوية والصيغ الصرفية بخاصة، فهاهم يقولون أن (قال) أصلها (قول) و(باع) أصلها (بيع) وكذلك (سَيِّد) أصلها (سَيْود) و (اتصل) أصلها (إوتصل) ، (اعْتَدَنَا) أصلها (اعْتَوَدْنَا).. إلخ، فكل ذلك كما يرى بعض العلماء " أصول متوهمة لا سند لها من تاريخ، ولا دعامة لها من لغة" [5] ، ولكننا لا نعدم من يدافع عن هذا ،

حيث يقول ابن جني :" لا ينكر أن يكون في كلامهم أصول غير ملفوظ بها -إلا أنها ذلك مقدرة. وهذا واسع فى كلامهم كثير، ألا ترى أنهم قد أجمعوا على أن أصل (قام: قوم، وهم مع ذلك لم يقولوا قط ..(قوم) : ويقولون إن أصل يَقُومُ: يُقَوُم ولم نرهم قالوا (يقوم) على وجهه، فلا ينكر أن يكون هنا أصول مقدرة غير ملفوظ بها)[6] ويؤكد كلامه في مكان آخر قائلاً :" لا يستنكر الاعتداء بما لم يخرج إلى اللفظ، لأن الدليل إذا قام على شئ كان فى

---

(1) السابق ١/٤٦ ، مسألة [٢٩].

(2) الأشباه والنظائر (١/ ٢٥٧) .

(3) شرح المفصل (٥/٩٦) .

(4) أسرار العربية (ص٤٨) .

(5) ينظر : " مفهوم علم الصرف " بحث لكمال بشر ، مجلة مجمع اللغة العربية (ج/٢٥) القاهرة ١٩٦٩م .

(6) المنصف ؛ لابن جنى (١/٣٤٨) .

حكم الملفوظ به وإن لم يجر على ألسنتهم استعماله..." [1]. إذن كل ما قال به النحاة : أنه قصد بها كذا، أو أراد كذا ؛ ما هو إلى محاولة شاقة للرجوع إلى الأصول التي وضعوها ، وأرادوا أن يترسموا خطاها وفرضوا ذلك على غيرهم من العرب ومسموعاتهم....إلخ، حيث قول النحاة العرب :" (أصله كذا) أو (قياسه كذا) أو (هو على تقدير كذا) (أو تأويل كذا).. ما و إلا رجوع إلى الأصل أو البنية الأساسية" [2]؛ أي البنية العميقة .

(٥) ظاهرة اللُّجوءِ إلى التَّقْديرْ

وهو " محاولة معرفة العامل المحذوف ، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتناول محذوفات أخرى غير العامل، فهو يتناول حذف المعمول ، وكذلك حذف الجملة بأسرها أى العامل والمعمول معاً أو هو افتراض صياغة المفردات أو الجمل أو سبكها بهدف تصحيح الحركة الإعرابية" [3]. ويلعب الذهن والتفكير دوراً فعالاً فى التوهم والتقدير فكلاهما يقوم على الافتراض ومحاولة تقدير، معرفة المحذوف سواء أكان العامل -بالنسبة للتوهم والتقدير- أو معرفة المحذوف غير العامل بالنسبة للتقدير ، والتقدير كما سبق ذكره" قائم على الاجتهاد الذى -يتيح- عدة أوجه فى العبارة الواحدة، لأن لكل وجه تأويلا مختلفاً حتى ولو كان ذلك مخالفاً للصورة الأصلية للنص"[4] و"التدبر والتفسير والتقدير وهى من الأمور التي تحتاج في عملها إلى إعمال الفكر والعقل ، خاصة أن مجال عملها هو الجانب الخفي غير الظاهر من

---

(١) الخصائص ؛ لابن جني (٣٤٣/٢) .

(٢) فى بناء الجملة العربية (ص١٠٦) ، ولمزيد من التفصيل ينظر : رسالة دكتوراة "ظاهرة الأصل والفرع فى الدراسات الصرفية " ؛ لأشرف مبروك ، دار العلوم ، القاهرة سنة ١٩٩٤م .

(٣) الحذف والتقدير(ص ٢٠٥) ، وينظر : مناهج البحث عند النحاة العرب(ص٤٧٤) وما بعدها .

(٤) الخصائص (١٣/١) .

الأشياء" [1] ، و" التقدير صراع من وراء النص لمحاولة إخضاعه لقاعدة ما ؛ وإن لم يغير ذلك طريقة نطقه شيئاً وقد اختلفت اتجاهاته ومناحيه ؛ لأنه قائم على الاجتهاد الشخصي والبراعة الذاتية البعيدين عن اللغة" .[2]

* **الإعراب التقديري** : هو ما يقابل اللفظى ، وحين لا يظهر الإعراب على آخر المعرب يقدر إما للتعذر كما فى المقصور وإما للاستثقال كما فى المنقوص [3]، والأبواب التي يرد فيها الإعراب التقديري لدى النحاة العرب كثيرة ؛ تشيع بين ثنايا النحو العربى والصرف ؛ ومن ذلك :

- ما تقدر فيه الحركات كلها ، كما فى المضاف إلى (ياء المتكلم) ، وفى المحكى فى قوله (من

زيداً) سؤالا لمن قال : ضربت زيداً . ومن ذلك المقصور الذى يتصور فيه حركات مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر نحو (الفتى ومصطفى..الخ). ومن ذلك المنقوص الذى نتصور فيه الحركات مقدرة على الياء من ظهورها الثقل فى نحو(القاضى).ومن ذلك تصورنا لحركات مقدرة على آخر الجملة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركات الحكاية فى نحو(تأبط شراً).

ويرى **د.سيد رزق الطويل** ــ رحمه الله ــ أن "كل هذه التصورات تهدف إلى أن تنسجم القاعدة مع نفسها ومع المسموع عن العرب ، وهو

([1]) الحذف والتقدير فى بنية الكلمة ؛ لكمال سعد ، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٩٣م ، (ص١١) .

([2]) تحصيل عن الذهب بهامش الكتاب (٤٧٠/١) تعليق الأعلم الشنتمرى ، ط بولاق ، القاهرة ١٣١٦هـ .

([3]) شرح الكافية ؛ للرضى ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٧/١) .

لون من التصور قريب من التوهم"[1] ، ولعل الذي يجعلنا نربط بين الإعراب التقديري وبحث النحاة عن البنية العميقة هو أن الإعراب التقديرى "مظهر من مظاهر غلبة التفكير الفلسفي على الدراسات النحوية ، وأثر من آثار التطبيق لمقولة (الكيف والمكان) ، فالأفعال تقع عندهم على (كيفيات) خاصة ، فكان منها الأجوف والناقص وحتى الحروف نسبوا إليها (الكيف) فكانت الألف اللينة وقد ظهرت (المكانية) بوضوح فيما أسماه النحاة صرف الإعراب وأنه لابد للإعراب من مكان"[2] ، وإن لم يوجد قدَّروه ، لذلك سمى بالإعراب التقديري ، الذي يخضع للتصور الشخصي النابع من عقل النحاة لا من العرب أصحاب اللغة .

* **<u>الإعراب المحلي</u>** : وهو أن يكون للكلمة حالة لفظية ظاهرة غالبًا ؛ محل أخرى غير ظاهرة، ولكنها ملحوظة في الإعراب برغم عدم ظهورها ، ويدخل تحت هذا الإعراب : المركب المزجي ؛ نحو : بعلبك ، وأحد عشر، ...الخ ، وجميع أنواع المبنيات من الأسماء نحو : أسماء الإشارة، والأسماء الموصولة ، والضمائر ، ... الخ وبعض الأفعال المبنية ، نحو : الماضي الواقع فعل شرط أو جوابه ؛ فإنه مبني في محل جزم ، وبعض الجمل كالتي تقع خبرًا أو صفة أو حالاً أو الجمل المحكية ، ... الخ .

---

(1) ينظر :" ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية" ؛ للدكتور : سيد رزق الطويل ، (ص ٨٩) .

(2) مناهج البحث في اللغة ؛ لتمام حسان (ص٢٠) .

الخـــاتمـــة وأهم نتائج الدراسة

الحمد لله الذي بفضله تتم النِّعـــم ؛ وبعونه تُدفع النِّقـــم ، وبالإيمان به وبقدرته تُشحذ العزائم والهمم ، والصلاة والسلام على ســيدنا وحبيبنـــا وشفيعنا محمد خير العرب والعجم ، والرحمة المهداة إلـــى كـــل الأمـــم ، وأستغفر الله العظيم من كل الذنوب واللَّمم ، .... وبعد .

فقد وفقنا الله تعالى لدراسة هذا الموضوع " البنية العميقة ومكانتهـــا لدى النحاة العرب" ، وفي هذه الدراسة عرضنا لأهمية دراسة البنية العميقـــة لدى علماء الغرب والعرب ، فأشرنا إلى بعض ما قاله **تشومسكي** وتلاميـــذه في الغرب والشرق ، ثم أردنا أن نتحقق من معرفة النحاة العرب ؛ ودورهم في هذا المضمار اللغوي المهم ، وعرضت الدراسة لتعريف البنية السطحية والبنية العميقة وقدَّمت بعض السمات لهما ، ثم وقفت الدراسة علـــى بعـــض مظاهر اهتمام النحاة العرب بالبنية العميقة في تراثهم النحوي خلال كتـــبهم ودراساتهم ، كما ذكرت الدراسة بعض الشواهد التي نرى أنها تؤكد أهميـــة البنية العميقة لدى النحاة العرب ، وعرضت لبعض المسائل والأبواب النحوية والصرفية تمثيلاً لا حصرًا . ثم عرضت الدراسة لأســـباب اهتمـــام النحـــاة بالبحث عن البنية العميقة ودراستها ، كما عرضت لأهم النتائج التي ترتبـــت على ذلك في الدرس اللغوي بعامة والنحوي بخاصة . ويمكننا أن نلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فيما يلي :

أولاً : سبق النحاة العرب غيرهم في الاهتمـــام بالبنيـــة العميقـــة وأهميتهـــا ودراستها .

ثانيًا : حرص النحاة العرب على الاهتمام بلغتهم العربية ، وكذلك احترامهم لسمات اللغات البشرية الأخرى وأهميتها لدى أهلها .

ثالثًا : توصّل النحاة العرب قبل غيرهم إلى أن لغات البشر في معظمها تتشابه في العديد من الظواهر والمسائل اللغوية .

رابعًا : فطن النحاة العرب إلى الربط بين المعنى والبنية العميقة ، كما ربطوا بين الإعراب والبنية السطحية ، وأكدوا على أن الإعراب فرع المعنى .

خامسًا : درس النحاة العرب الوسائل التي تتحول بها البنية العميقة إلى البنية السطحية ؛ كالحذف ، والتقديم والتأخير ، والزيادة..الخ ، وهم بذلك سبقوا غيرهم من التحويليين الغربيين .

... وبعد فيمكننا الوقوف على كثير من النتائج الأخرى التي تثبت سبق النحاة العرب لغيرهم كدوسوسير وتشومسكي وغيرهما ؛ بل تثبت تفوقهم دون مبالغة في الدرس اللغوي .

أهـمُ المصادر والمراجـع

*** أولاً : القرآن الكريم :**

*** ثانيًا : المطبوعات :**

١ــ الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ط دار الفكر ، بيروت .

٢ــ إحياء النحو ؛ لإبراهيم مصطفى ، ط لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٥٩م .

٣ــ أسرار العربية ؛ للأنباري ، تح : فخر صالح قدارة ، ط دار الجيـل ، بيروت ، ١٩٩٥م .

٤ــ الأشباه والنظائر ؛ للسيوطي ، تح : فايز ترحينـى ، ط٢، دار الكتـاب العربي ، بيروت ١٩٨٦م.

٥ــ الأصول ؛ لتمام حسان ، ط الهيئة المصرية العامة للكتـاب ، القـاهرة ١٩٨٢م .

٦ــ أصول النحو ؛ لمحمد عيد ، ط عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٢م .

٧ــ الأصول في النحو؛لابن السراج تح : عبد الحسين الفتلي ، ط٣مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٨م .

٨ــ إعراب القرآن ؛ للنحاس ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٨م .

٩ــ الاقتراح ؛ للسيوطي ، ط دار المعارف النظامية ، حيدر أباد .

١٠ــ الإنصاف ؛ لابن الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميـد ،ط دار الفكر، دمشق .

١١ــ أوضح المسالك ؛ لابن هشام ، تح :محيي الدين عبد الحميـد ، ط ٥ دار الجيل ، بيروت١٩٧٩م .

١٢ــ الإيضاح في علوم البلاغة ؛ للقزويني ، تح : خفاجي ، ط٤ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٥م.

١٣ــ البحث اللغوى عند العرب ؛ لأحمد مختار عمر ، ط ٦ عالم الكتــب ، القاهرة ١٩٨٨م .
١٤ــ البحر المحيط ؛ لأبي حيان ، ط٢ دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٣هــ .
١٥ــ البرهان ؛ للزركشي ، تح : محمد أبو الفضل ، ط١ دار إحياء الكتب ، القاهرة ١٩٧٢م .
١٦ــ تحصيل عن الذهب ؛ للأعلم الشنتمرى ، بهامش كتاب ســيبويه ، ط بولاق ، القاهرة ١٣١٦هــ .
١٧ــ التوهم عند النحاة ؛ لعبد الله جاد الكريم ، ط مكتبة الآداب ، القــاهرة ٢٠٠١ هــ .
١٨ــ الجمل في النحو ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح : فخر الدين قباوة ، ط٥ ،١٩٩٥ م .
١٩ــ حاشية الخضري ، ط المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٢٩ م .
٢٠ــ حاشية الصبان ؛ ط الحلبي ، القاهرة ١٣٦٦هــ .
٢١ــ الحــدود ؛ للرماني ، تح : إبراهيم السامرائي ، ط دار الفكر ، عمان
٢٢ــ الحيوان ؛ للجاحظ ، تح : عبد السلام هارون ، ط الحلبي ، القــاهرة ، ١٩٦٦م .
٢٣ــ خزانة الأدب ؛ لعبد القادر للبغدادي ، تح : عبد السلام هارون ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٩م .
٢٤ــ الخصائص ؛ لابن جني ، تح : محمد علي النجار ، ط عالم الكتــب ، بيروت .
٢٥ــ دراسات لغوية ، لمحمد علي الخولي ، ط : دار العلوم ، الريــاض ، ١٩٨٢م .

٢٦ــ الدرس النحوي في القرن العشرين ، لعبد الله أحمد جاد الكريم ، ط : مكتبة الآداب ، القاهرة .

٢٧ــ دلائل الإعجاز ؛ لعبد القاهر الجرجاني ، تح : محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٧٧م ، وتح : محمد رشيد رضا ، ط دار المعرفة ، بيروت ١٩٧٨م .

٢٨ــ الرد على النحاة ؛ لابن مضاء ، تح : شوقي ضيف ، ط٣ دار المعارف ، القاهرة .

٢٩ــ سر صناعة الإعراب ؛ لابن جني ، تح : حسن هنداوي ، ط دار القلم ، دمشق ١٩٨٥م .

٣٠ــ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح :محيي الدين عبد الحميد ، ط دار الفكر،دمشق ١٩٨٥م.

٣١ــ شرح المفصل ؛ لابن يعيش ، ط مكتبة المتنبي ، القاهرة .

٣٢ــ شرح شذور الذهب ؛ لابن هشام ، تح : عبد الغني الدقر ، ط الشركة المتحدة ، دمشق ١٩٨٤م .

٣٣ــ شرح قطر الندى ؛ لابن هشام ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١١، القاهرة ١٣٨٣هـ .

٣٤ــ الضرورة الشعرية ؛ لمحمد حماسة عبد اللطيف ، ط مكتبة دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٩م .

٣٥ــ العربية ؛ ليوهان فك ، ترجمة:عبد الحليم النجار ، ط دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٥١م .

٣٦ــ علم اللغة ؛ لفهمي حجازي ، ط دار غريب ، القاهرة ١٩٧٣م .

٣٧ــ الفجوة الرقمية ؛ لنبيل علي ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد (٣١٨) ، ٢٠٠٥م .

٣٨ــ في بناء الجملة العربية ؛ لحماسة عبد اللطيف ، ط دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٢م .
٣٩ــ قرينة العلامة الإعرابية ؛ لمحمد حماسة عبد اللطيف ، القاهرة .
٤٠ــ كتاب سيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، ط دار الجيل ، بيروت .
٤١ــ اللباب ؛ للعكبري ، تح : عبد الإله النبهان ، ط دار الفكر ، دمشق ١٩٩٥م .
٤٢ــ لسان العرب ؛ لابن منظور ، ط دار صادر ، بيروت .
٤٣ــ اللغة العربية مبناها ومعناها ؛ لتمام حسان ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.
٤٤ــ اللغة بين المعيارية والوصفية ؛ لتمام حسان ، ط مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٥٨م .
٤٥ــ اللغة والنحو بين القديم والحديث ؛ لعباس حسن ، ط دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦م .
٤٦ــ المحتسب لابن جني،تح:علي النجدي ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة ١٣٨٦هـ .
٤٧ــ مختار الصحاح ؛ للرازي ، تح : محمود خاطر ، ط مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٥م .
٤٨ــ المرايا المقعرة ؛ لعبد العزيز حمودة ، ط عالم المعرفة ، الكويت ٢٠٠١م .
٤٩ــ مسائل خلافية في النحو للعكبري،تح:محمد خير الحلواني ، دار الشرق العربي ، بيروت١٩٩٢م.
٥٠ــ المصباح المنير ؛ للفيومي ، ط المكتبة العلمية ، بيروت .

٥١ــ مغني اللبيب لابن هشام ، تح : مازن المبارك ومحمد حمد الله ، ط٦ دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م.

٥٢ــ المقتضب ؛ للمبرد ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، ط عالم الكتب ، بيروت .

٥٣ــ من أسرار اللغة ، لإبراهيم أنيس ، ط ٤ مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٥٤ــ من قضايا اللغة والنحو ؛ لعلي النجدي ناصف ، ط مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٧م .

٥٥ــ منازل الحروف ؛ للرماني ، تح : إبراهيم السامرائي ، ط دار الفكر ، عمان .

٥٦ــ المنصف ؛ لابن جني ، تح : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط الحلبي ، القاهرة ١٣٧٩هـ .

٥٧ــ موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد الأزهري،تح:عبد الكريم مجاهد ، بيروت ١٩٩٦م .

٥٨ــ النحو والدلالة ؛ لحماسة عبد اللطيف ، القاهرة ١٩٨٣م .

٥٩ــ همع الهوامع ؛ للسيوطي ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

*** ثالثًا : الرسائل والمخطوطات :**

١ــ الاتساع في الدراسات النحوية ، لأحمد عطية المحمودي ، ماجستير ، دار العلوم ،القاهرة ١٩٨٩م.

٢ــ التأويل النحوي في القرآن ؛ لعبد الفتاح أحمد الحموز ،دكتوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٨١م.

٣ــ تعدد التوجيه الإعرابي ؛ لمحمد حسنين صبره ، دكتوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٧٧م .
٤ــ الحذف والتقدير فى بنية الكلمة ؛ لكمال سعد ، ماجستير ، دار العلــوم ، القاهرة ١٩٩٣م .
٥ــ الحذف والتقدير ؛ لعلي أبو المكارم ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، القاهرة ١٩٦٤م .
٦ــ ظاهرة الأصل والفرع فى الدراسات الصرفية ؛لأشرف مبــروك ، دار العلوم ،القاهرة سنة ١٩٩٤م.
٧ــ ظاهرة الحمل علي المعني ؛ لأشرف مبروك ، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٨٩م .
٨ــ ظاهرة المطابقة النحوية في ضوء الاستعمال القرآني ، دكتــوراه لطــه الجندي ، دارعلوم القاهرة ١٩٨٠ م .
٩ــ مناهج البحث عند النحاة ؛ لعلي أبو المكارم ، رســالة دكتــوراه ، دار العلوم ، القاهرة ١٩٦٧م .

*** رابعًا : الدوريات :**

١ــ ظاهرة التوهم في الدراسات النحوية والتصريفية" ؛ للدكتور : سيد رزق الطويل ، بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية بجامعة أم القــرى ، العــدد الأول ، سنة ١٩٨٣م .
٢ــ مفهوم علم الصرف " بحث لكمال بشر ، مجلة مجمــع اللغــة العربيــة (ج/٢٥) القاهرة ١٩٦٩م .
٣ــ المنهج التحويلي في النحو العربي ، لعبد الله جاد الكريم ، بحث منشور في العدد الحادي والثلاثين ، مجلة كلية دار العلوم ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

تمت بعون الله وتوفيقه